التوجيه اللساني والدلالي للبنى المحولة بالاستبدال الاطرادي

الدكتور: رابح أحمد بومعزة
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان

أولا– مدخل: مصلحات ومفاهيم أساس:

1– ماهية التحويل:

إذا كان التحويل في النحو التحويلي قائما على أساس أن لكل بنية إفرادية (صيغة صرفية) أو بنية تركيبية (جملة وظيفية) بنيتين: إحداهما عميقة والأخرى سطحية، وكان لا بد من التحويل بقواعده المختلفة لكي يقوم بدور نقل البنية العميقة من عالم الفكرة المجردة إلى عالم التحقق الصوتي، فإن هذه الفكرة نفسها التي أدت إلى ضرورة التحويل قد وُجِدت بشكل آخر في النحوي العربي. ولكن النحويين العرب حين تناولِهم فكرةَ المواءمة بين العمق المقدر والسطح الظاهر، وانتهوا إلى أن هناك نموذجا أو أصلاً تجريديا – في الغالب يُحَول الكلام الحي تنفيذه وإخراجه إلى حيز الوجود، وخلصوا إلى أن الأنموذج المجرد أساسٌ للآخر، فحاسبوا الكلام المنطوق بمقياس هذا الأنموذج المجرد– فإنهم رأوا أنْ ليس هنالك لكل تركيب إسنادي بِنيتان إحداهما عميقة والأخرى سطحية، وإنما التركيب الإسنادي الذي يقتضي بنيتين هو التركيب المحول الذي يكون ظاهره مُلبَسًا. فالجملة التوليدية الواردة عناصرها على أصلها)[1] لا تحتاج إلى بنية عميقة. وكذلك الصيغة الصرفية التي لم يَقع فيها تحويل من نحو الإعلال والإبدال لا تحتاج إلى بنية عميقة. وإذا كان مصطلح "البنية العميقة" غير مصرح به في معالجة النحاة العرب للتراكيب الإسنادية المحولة، فإن مفهومه كان حاضرا في معالجتهم تلك. وجاء التعبير عنه بطرائق مختلفة من نحو قولهم" أصله كذا"، أو" قياسه كذا"، أو هو "على تقدير كذا"، أو "تأويله كذا"، أو "على نية كذا". وهي كلها تعني أن هناك بنية عميقة وراء البنية السطحية المحولة[2].

والتحويل هو إجراء الشيء على الشيء، ذلك أن المحول والمحول له متكافئان. وهو من وجهة نظر المنطق في الرياضيات الحديثة تكافؤ غير اندراجي، وهو هذا الذي يحصل

عليه بالقياس. والتحويل في الدرس اللغوي العربي تحويلان: تحويلٌ يبحث به عن تكافؤ البنى (توافق البناء عند العرب) وهو الأهم، وتحويلٌ تفسر به الشواذ بواسطة ما يعرف بـ "نظرية الحمل"[3].

والتحويل يَتَبَدى في أربعة أقسام، هي: التحويل بإعادة الترتيب، والتحويل بالزيادة والتحويل بالحذف، والتحويل بالاستبدال، ذلك أنه بدون مراعاة صور التحويل الواقع في البنى الإفرادية والبنى التركيبية المحولة باهتمام وعناية بالعودة إلى البنية العميقة (أي الأصل الحقيقي أو المفترض) يكون من العسير فهم تلك البنى اللغوية الواردة على غير أصلها (أي المحولة)، ويكون من الصعب تفسير عقدها بدقة وسلامة.

وعلى المستوى التركيبي يلاحظ أن التحويل نوعان، تحويل جذري وتحويل محلي. فالتحويل الجذري هو التحويل الذي تنتقل فيه الجملة الاسمية إلى دائرة الجملة الفعلية، أو الجملة الفعلية إلى دائرة الجملة الاسمية.

1-1- التحويل بالزيادة:

الزيادة التي تُعَد عنصرًا من عناصر التحويل، هي تلك الزيادة التي يضاف فيها إلى الجملة التوليدية كلمات قد تكون فضلات أو قيودا، وقد تكون عوامل متمثلة في النواسخ لتحقيق زيادة في المعنى. وقد تكون وحدات لغوية، لغرض النفي أو التمني أو التعجب أو الاستفهام أو الترجي أو التأكيد، فكل زيادة تدخل على الجملة التوليدية الفعلية أو الاسمية تحول معناها إلى معنى جديد غير الذي كان. قال الجرجاني: "وكلما زدت شيئا وحدت المعنى قد صار غير الذي كان"[4]. والتحويل بالزيادة قد يكون محليا، وقد يكون جذريا.

1-1-أ- التحويل بالزيادة الجذري:

التحويل الجذري نجده في الجملة الاسمية التي تعتريها تحويل بزيادة عنصر التحويل (ظن)[5] وأخواتها، حيث تغدو هذه الجملة فعلية، فالمبتدأ يصبح مفعولا به أول، والخبر مفعولا به ثانيا. فالجملة الآتية: ظنت الطالبةُ الجملتين متساويتين، هي جملة فعلية محولة تحويلا جذريا. بنيتُها التوليدية قبل الزيادة جملة اسمية، هي (الجملتان متساويتان) فباب "ظن" ما يزال يَحمل في عناوينه دلائلَ حاسمةً على هذا التأصيل والتفريع في مبنى الجمل. ذلك أنه يُعْرَفُ بباب الأفعال التي تنصب مفعولين أصلها مبتدأ وخبر.

1-1-ب- التحويل بالزيادة المحلي:

يكون التحويل المحلي في الجملة التي تدخل عليها زيادات من قبيل عناصر تقييد الخبر، ممثلة في (كان وأخواتها، وأفعال المقاربة، وأفعال الشروع ، وأفعال الرجاء)[6]. فالجملة الاسمية: "كان مفهوم التحويل غامضا" هي جملة محولة تحويلا محليا، بقيت مصنفة في دائرة الجملة الاسمية على الرغم من دخول الفعل (كان) عليها.

2- التحويل بإعادة الترتيب:

ليس بخاف علينا أن اللغة العربية تتميز بحرية النظم. فالكلمة فيها يتغير موقعها مع بقائها محافظة على معناها النحوي، حيث يمكن أن تتغير مكونات الجملة تقديما، أو تأخيرا حين يسمح النظام اللغوي بذلك، وحسب السياق الكلامي.

وهذا النوع من التحويل بإعادة الترتيب قسم على قسمين: تقديم على نية التأخر ويسمى تحويلا محليا، وتقديم لا على نية التأخر، ويسمى تحويلا جذريا.

2-أ- التحويل بإعادة الترتيب المحلي:

هو التحويل الذي تبقى فيه الجملة التي اعترى أحد عناصرها تقديم في دائر التصنيف الذي كانت فيه قبل هذا التقديم، من حيث إنها اسمية أو فعلية. ففي قوله تعالى: (بَلِ اللهَ فاعْبُدْ وكُنْ مِنَ الشاكِرينَ) (الزمر/66)، يلاحظ الجملة الفعلية "بل الله فاعبد" قد قدم فيها المفعول به "الله" على الفعل والفاعل "فاعبد" وصولا إلى قصر المفعول على فعل الفاعل[7].

2-ب- التحويل بإعادة الترتيب الجذري:

هو التحويل الذي ينقل المركب الاسمي إلى رأس الجملة، ثم يُعَلقه بالعقد الأساس.[8] وهو التحويل الذي أطلَق عليها الجرجاني مصطلح "التقديم لا على نِية التأخير"[9]. يقول الجرجاني: "اِعلَمْ أن تقديم الشيء على وجهين تقديم يقال له إنه على نية التأخير (...)، وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه(...) مثل(...) زيد ضربته، لم يقدم زيدا على أن يكون مفعولا منصوبا(...) ولكن على أن ترفعه بالابتداء"[10]. وهو الذي ينتقل فيه المسند إليه من مكان داخل الجملة إلى مركز الصدارة، متخلصا من أثر الفعل الذي كان العامل الأساس ومثل ذلك

الجملة الآتي ذكرها: "الطالب فهم التحويل" وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم، حيث كان معملا في المضمر وانشغل به.

وهذا التحويل الجذري اعتمد من طريق التفكيك. والتفكيك في هذه الجملة – لَما كان باعتبار الجهة هو تفكيكا إلى اليمين[11]– عُد جذريا، حيث تغيرت وظيفة الاسم (الطالب) وتحولت الجملة الفعلية إلى جملة اسمية داخلة ضمن التحويل من طريق التبئير. ونمثل ذلك بالجملة الآتي ذكرها: "الطالب فهم التحويل" وإنما حسن أن يُبنَى الفعل على الاسم، حيث كان مُعمَلا في المضمر وانشغل به.

فليس تقديم المسند إليه عن المسند(الفعل) وتأخيرُه في الجملة الفعلية سَواءً. ذلك أن الجملة التي تَبتدِئُ بفعل من نحو "نجح المجتهدُ" هي في المستوى النحوي الساكن جملة لا يُميز في بنيتها جزآن (عنصران) منفصلان عن بعضهما[12]، إذ إنها تتألف من وحدة لا انفصال فيها بين الفعل وفاعله، أو مرفوعه الذي يليه. لأنهما بمثابة الكلمة الواحدة التي لا نستطيع أن نَفصل بين جزئيها، لشدة الترابط والتماسك بين المسند والمسند إليه. فالفاعل يندمج في الفعل، "لأن الأصل فيه أن يلي الفعل، لأنه كالجزء منه"[13]. وهذه الجملة في المستوى الإخباري المتغير لا تخضع للتقسيم الوظيفي إلى: موضوع ومحمول للكلام حسب السياق. وأساس ذلك أن المسند إليه(الفاعل) الذي هو "المجتهد" في تلك الجملة لا يمكن أن يكون نقطة ابتداء، لأن "الفاعل ما كان المسند إليه من فعل وشبهه مقدما عليه أبدا". من منطلق كون الفعل عاملا في الفاعل، فيكون حقه التقديم، ولأن رتبة الفاعل التأخر عن فعله، وهي الرتبة المحفوظة. ولهذا السبب دعا النحاة المسند إليه حين يلي الفعل فاعلا أو نائب فاعل، ولم يدعوه مبتدأ. واللافت للانتباه أن هذه الجملة في مثل هذه الحال يسجل أنها حاملة خبرا ابتدائيا[14]، حيث يسجل أن المبتدأ يؤثر في الفعل الذي يليه ويُسنَد إليه، من حيث ضرورة المطابقة معه في الإفراد والتثنية والجمع فنقول: المجتهدُ نجح، المجتهدان نجحا، المجتهدون نجحوا، المجتهد ينجح، المجتهدان ينجحان، المجتهدون ينجحون. ولو كان يصح تقديم الفاعل لصح أن نقول: المجتهدان نجح، المجتهدون نجح، لأن أصل الجملتين: نجح المجتهدان، نجح المجتهدون. ولقد نص "سيبويه" على وجوب إظهار الضمير في الفعل إذا سبقه فاعل معنى مثنى كان أم جمعا، على ألا يكون هذا الضمير البارز في الفاعل المعنوي المفرد من نحو الجملة: "المجتهد نجح".

وإذْ يكادُ إجلاؤنا للفرق الذي بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية الذي ذهب بعضهم إلى أن لا فرق بينهما، لا يقنع فريقا من الباحثين الذين رأوا أن مثل جملة "المجتهد نجح"، لا تُعَد عند النحاة جملة فعلية –لا لشيء إلا لأن الفاعل فيها قد تقدم فعله. وإذا تقدم فهو مبتدأ. لم يقتنع هذا الفريق لأنه رأى أن "الأخفش" والكوفيين قد ثاروا قبله على هذه القاعدة، وصنفوا مثل تلك الجملة في دائرة الجملة الفعلية فاعلها تقدم على فعلها. وذهبوا إلى أنه ما منع النحاة أن يبقوا الفاعل المتقدم على فعله فاعلا ما دامت دلالته على الفاعلية هي الأصل، وأن الفعل لم يُسنَد إلا إليه لأنه مُحدث به– فإن هذا الرأي كان يُمكن أن يكون مقبولا لو تَعلق الأمر بصورة من صور الجملة الاسمية– فإن الاستعمال اللغوي لا يُؤيد ما ذهبوا إليه، لأن تقديم المسند إليه (الفاعل) يُؤدي إلى تكوين تراكيب صورها ممنوعة لغويا تكشف عن غطائها النماذجُ الآتية: المجتهدان قام، المجتهدون قام، المجتهدتان قامت المجتهدات قامت. ذلك أن حُذاق النحاة العرب ذهبوا إلى أن الاسم الذي هو فاعل في المعنى المنطقي والمعنوي إذا تقدم على الفعل صار في الوظيفة مبتدأ[15]، لأنه يَغْدُو مركز الإخبار فيصبح الأهم في التركيب. ويحمل معنى الابتداء على الرغم من أنه يظل محتفظا بشيء من معنى الفاعلية. حيث إن الضمير يعود إليه من موقع الفاعل. غير أن شأن هذا الرأي يتضاءل عند التأمل في المعنى وأحوال التركيب. بيان ذلك أن مثل الجملة "أنا نجحت" التي لا يعد الضمير المنفصل فيها "أنا" إلا مبتدأ عند جميع النحاة، لأن الضمير المتصل "ت" وقع موقع الفاعل على الرغم من أن دلالة الضميرين واحدة. فإذا قلنا "المجتهد نجح" ألم يَجْرِ المسند إليه "المجتهد" مجرى الضمير المنفصل "أنا" في الجملة السابقة، ومن ثم يجب أن يكون مبتدأ؟ فهو فاعل في المعنى، وليس فاعلا في الصنعة. ثم إن الذي يَدُلنا على أن "المجتهد" في جملة "المجتهد نجح" ليس فاعلا –وإن أسند إليه الفعل في المعنى– هو أننا نراه في مثل التراكيب الإسنادية الآتي ذكرُها قد حدث منه الفعل، ولا يُعَد في التحليل الوظيفي فاعلا باتفاق النحاة. وهذه التراكيب هي: (أ) رأيت المجتهدَ قد نجح. (ب) التقيت بالمجتهدِ ينتظر صديقه. (ج) هذا المجتهدُ يواصل نشاطه. (د) إن المجتهدَ نجح بتفوق، حيث يُلاحَظ أن "المجتهد" هو الفاعل في المعنى في هذه الجمل جميعها. غير أنه عند الإعراب يُعرَبُ مفعولا به في الجملة الأولى، ويُعْرَب اسمًا مجروراً في الجملة الثانية، ويعرب نعتا –لأن المشتق المعرف بعد اسم الإشارة يعرب نعتا، أوبدلا– في الجملة الثالثة، ويعرب اسم "إن" في الجملة الرابعة. فإذا كان "المجتهد"

في هذه الجمل قد سبق إليه معنى المفعولية، أو الجر، أو النعت، أو اسم إن في الفعل الآخر، فإنه في نحو الجملة "المجتهد نجح" قد سبق إليه معنى الابتداء، فلا يكون فاعلا للفعل بعده هنا مثل ما لم يكن فاعلا للفعل بعده هناك.

فالمبتدأ في الجملة الاسمية المركبة "المجتهدُ نجح" هو في حقيقته مبتدأ مُحَول عن اسم تابع للفعل. لذلك لما كان هذا المبتدأ باقيًا محتفِظًا بشيء من معنى الفاعلية –لأن الضمير يَعُود عليه من موقع الفاعل بذلك الاسم (الفاعل)– أوقَعَ بَعْضَهم في الوهم، فظنوا أن المبتدأ الْمُحَوّل عن فاعل يَظَل فاعلاً. ولو كان هذا الزعْمُ صحيحًا لظل المبتدأ الْمُحَول عن مفعول به مفعولاً به، والْمُحَول عن مضاف إليه مضافًا إليه، والْمُحَول عن اسم مجرور اسما مجرورا بالحرف. واللافت للانتباه أن المبتدأ الْمُحَول يأتي خبرُه بِنيةً تركيبية فعلية ويُسَجل أن في هذا المسند (الخبر) ضميرًا عائدًا على هذا المبتدأ، الذي يَجب تقديمُه، لأنه لم يَكُن مبتدأ إلا بعد تحويله عن موضعه السابق بالتقديم. فلو تأخر، كان ذلك مُعارضا للتحويل الذي صار به مبتدأ بعد أن كان عنصرًا آخر في الجملة.

وهذا المبتدأ يُمنَع تأخيره، لأنه حين تأخيره تَصير الجملة فعلية بسيطة. وما يؤيد أن مثل تلك الجملة اسمية مركبة قول لـ "ابن هشام" أبرز فيه خَصِيصةَ الاسم الإسنادية مُؤَدى هذا القول: "الإسناد إليه وهو أن يُسْنَد إليه ما تتِم به الفائدة. سواءٌ أكان المسنَدُ فعلا أم اسمًا أم جملة. فالفعل كقام زيد. فـ (قام) فعل مسند، و(زيد) اسم مسند إليه. والاسم نحو (زيد أخوك). فـ(الأخ) مسند، و(زيد) اسم مسندا إليه. والجملة نحو (أنا قمت) فـ(قام) فعل مسند إلى التاء، و(قام والتاء) جملة مسندة إلى (أنا)[16]". واللافت للانتباه أن لهذا الضمير الموجود في الفعل تأثيرا بالغة أهميته يتمثل في زيادة التمكين والتوكيد. فكأنه تكرار للمسند إليه. وليس ثمة شيءٌ كالتكرار أعلق بمعنى التوكيد. يعزز ذلك قول لصاحب الإشارات والتنبيهات من الأهمية بمكان سوقه جاء فيه: "من فوائد تقديم المسند إليه إذا كان المسند ذا ضمير له أن يقرر الحكم في ذهن السامع ويؤكده بسبب تكراره. سواء كان اسما ظاهرا نحو: زيد ركب – فإنه كررّ معناه ظاهرا ومضمرا مستترا– أو ضمير المتكلم نحو: أنا ركبت، كرّر متصلا ومنفصلا، أو ضمير المخاطب، نحو: أنتَ ركبتَ، كرر، متصلاً ومنفصِلاً، وكذلك هو رَكِبَ"[17].

وحتى يَجْلُوَ الأمر أكثر نُورد قولا عَرَضَ فيه "الجرجاني" لمعنى الابتداء في مثل هذا الوضع النحوي جاء فيه: "فإذا قلتَ عبد الله فقد أشعرتَ قلبه بذلك أنك قد أردتَ الحديث عنه.

فإذا جئتَ بالحديث فقلتَ مثلا: قام، أو قلتَ خرَجَ، أو قلتَ قدِمَ، فقد عَلِم ما جئتَ به. وقد وطأتَ له، وقدّمت الإعلام به، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقبِله قبول المتهيئِ له المطمئِن إليه. وذلك –لا مَحالة– أشد لثبوته، وأنْفَى للشبهة، وأمْنَعُ للشك وأدْخَلُ في التحقيق[18]. ويتضح معنى الابتداء أكثر في الاسم الْمُحَول عن موقعه حين يتصل به كلام يفصل بينه وبين الفعل في نحو الجملة المركبة "صديقك الذي كنت تحدثني عن أخلاقه الكريمة قد وصل"، حيث لا يذهب اعتقاد السامع ابتداء في هذا الاسم "صديقك" إلا أنه مبتدأ محتاج إلى خبر. حتى إذا تلقى الخبر بالبنية التركيبية المؤلفة من الفعل الماضي "وصلَ"، والفعل المتمثل في الضمير المستتر، استأنس إلى ذلك. ثم إنه لَما كان الفعل والمبتدأ هما العامليْن في الفاعل والخبر، كان حَقهُما التقديم. ولهذا انبتت الجملة العربية على شكلين: جملة اسمية تتألف من مسند إليه + مسند، وجملة فعلية تتألف من مسند + مسند إليه. ويسجل أن الجملة الفعلية من مثل: "نجح المجتهد" هي جملة مغلقةٌ لا حذفَ فيها، على حين تُعَد الجملة الاسمية من مثل "المجتهدُ نجحَ" غير مغلقة نحويا. وذلك لاحتمال أن يكون الناجح غيرَ المجتهد، كأنْ يكونَ أخاه. فنقول: "المجتهد نجح أخوه" مما يعني أن في هذه الجملة الاسمية "المجتهدُ نجح" عنصرًا ثالثا. ومن ثم فهي ليست مساوية للجملة الفعلية "نجح المجتهد"[19]. ويلاحظ أن المبتدأ المحول عن الفاعل يتعلق دائما بغرض بلاغي.

و"عبد القاهر الجرجاني" في معرض حديثه عن طرائق تأليف الجمل رأى أنها لا تَخْرُجُ عن أصلين أحدهما مبتدأ تقدم أو تأخر، أسنِد إليه خبرٌ، وثانيهما فاعل مسنَدٌ إليه يتقدمه فعلٌ في البناء النحوي القاعدي. ولا يَجوز تأخيرُ الفعل عن فاعله كما جاز تأخيرُ المبتدأ عن خبره، لأن الفاعل يتنزل منزلة الجزء من الفعل. وإذا تقدم المسندُ، وكان دالا على الحدث والحدوث أي فعلا، أو وصفًا عاملا أسنِد إلى الفاعل الموجود في الجملة نفسها كانت الجملة فعليةً. وهذا هو الرأي السائدُ، لأنه اطرادٌ في التراكيب الإسنادية التامة في اللغة العربية. معززًا ذلك بقول مؤداه: "من فُروق الخبر الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم. وبينه إذا كان بالفعل، وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه. وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء"[20].

لذلك فالجمل "عمرُ ناجحٌ أخوه"، "إن عمرَ ناجحٌ"، "كان عمرُ ناجحًا"، "عمرُ نجحَ"، "إن عمرَ نجحَ"، "عمرُ ينجح"، جملٌ اسمية. مُحَولة تحويلا جذريا.

3- التحويل بالاستبدال:

إذا كان من أصول البنوية "التوزيعُ"، وهو مَنْهَجٌ في التحليل اللغوي اتخذته مدرسة "بلومفيلد" يقوم بتوزيع وحدات لغوية بطريقة استبدال وحدة لغوية بأخرى لها السماتُ التوزيعية نفسُها[21]، وإذا كان التحويليون يعتمدون مثل الْبِنَويين على مقياس التكافُؤ وهو صَلاحية قيام الشيء مَقام الشيء (الاستبدال في الاصطلاح اللساني الحديث)، فإن النحويين العرب يبحثون عن مكانة الْمُحَول ودوره الذي يُؤَديه في الجملة التي ينحصر فيها. والاستبدال هو إمكانية إقامة وحدة لغوية مقام وحدة لغوية، أو بنية تركيبية أخرى لأن" الشيء المقام مقام الشيء بما أنه وحدة دالة فهما من قبيل واحد تماما "[22].

والاستبدال بابٌ من أبواب التكافؤ، من حيث جمعُه كل العناصر التي يُمْكِن أن يُستبدَل بعضُها ببعض. في سياق مُعَين. والعلائقُ الاستبدالياتُ هي علائقُ قياسيةٌ. فما يَقَع في خانة واحدة يأخذ حُكمًا واحدا وإن تَعددت صورُه.

ماهية الاطراد:

الاطِّرَادُ مصدرٌ، فعله اِطَّرَدَ، وهو -حَسَبَ ابن جني- في كتابه الخصائص الاستمرارُ والتتابع والاتساق. وفي اصطلاح النحو هو المتداوَل والشائع من القاعدة النحوية. وحيث إن الأشياء تتميز بأضدادها، فإن عكس الاطراد هو الشاذ، ذلك أن اطّراد القاعدة، هو كونها عامة خالية من الشذوذ. وقبل أن نقف على صور هذا الاستبدال الاطرادي في البنى التركيبية، وَدِدْنا لو نَقِفُ على ثلاثة نماذج من البنى التركيبية الْمُحَولة بهذا النوع من الاستبدال الاطرادي، وهي:

أ- الاستبدال الاطرادي المحول عن مصدر(الاستبدال الذي بنيته العميقة مصدر).

ب- الاستبدال الاطرادي المحول عن مشتق (الاستبدال الذي بنيته العميقة مشتق).

ج- الاستبدال الاطرادي المحول عن فعل.

أ- الاستبدال الاطرادي الذي بنيته العميقة مصدر:

إذا كان التحويل هو إجراء الشيء على الشيء. وإذا كان بعضهم يرى أن التأويل معناه إرجاع الشيء إلى أصله، فهل يمكن أن نقول إن البنية التركيبية (الجملة الوظيفية)

المؤلفة من الحرف المصدري وعناصر الإسناد (المصدر المؤول) سميت كذلك لأنها ترجع في أصلها إلى المصدر الصريح. والحق إن مثل هذه البنية التركيبية (المصدر المؤول) وضعت للدلالة على معنى نحوي يفترق عما يدل عليه المصدر الصريح. ففي قوله تعالى: (وأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ) (البقرة/184) يلاحَظ أن البنية التركيبية المضارعية (وأنْ تَصُومُوا) تفترق في الدلالة عن المصدر المؤولة به "صومكم". والمصدر المؤول (البنية التركيبية المؤدية وظيفة نحوية ما بالاستبدال) هو ذلك التركيب الإسنادي المؤلف المؤلف من أحد الأحرف المصدرية ومدخولاتها من الأفعال والأسماء.

ويرى سيبويه أن البنية التركيبية الفعلية التي قوامها الحرف المصدري "أنْ" والفعل ومرفوعه لا يختلف سلوكها النحوي عن البنية التركيبية الاسمية التي قوامُها الحرفُ المصدري الذي للتوكيد "أن" ومعموليها، من حيث إنهما بمنزلة اسم واحد، تُستبدَلان به لتؤديَا وظيفةً ما في الجملة المركبة، حيث يقول: "باب ما تكون فيه "أن" و"أن" مع صلتها بمنزلة غيرها من الأسماء، وذلك قولك: ما أتاني إلا أنهم قالوا كذا وكذا (...) كأنه قال ما أتاني إلا قولهم كذا وكذا. ومثل قولهم ما منعني إلا أن يغضب علي فلان"[23]، فهو يصنف المصدر المؤول "أن يفعل" أو"أنه يفعل أو أنه فَعَلَ" أسماء من جهة أنه يمكن أن يُستبدَل بها اسمٌ مفرد[24]، ويُعَد بِنيةً تركيبية تُشكل عنصرًا من عناصر الجملة التحويلية، وهو يُعامَل معاملة الاسم ما دام يَصلُح أن يكون مُسنَدا أو مسنَدًا إليه وسوى ذلك من الوظائف التي يؤديها.

وإذا كان بعضهم قد ساوى بين المصدر مؤوله وصريحه، فإن المصدر المؤول –على الرغم من الوظائف النحوية التي يُمكِن أن يؤديَها– شأنه شأن المصدر الصريح– فهو ينهض بعبء دلالة تختلف عن تلك الدلالة التي نجدها في ذلك المصدر الصريح. يؤيد ذلك قول للسهيلي مؤداه " فإن قيل: فهَلا اكتُفِيَ بالمصدر واسْتُغنِيَ به عن "أن" لأنه أخْصَرُ؟ فالجواب أن في دخول "أن" ثلاث فوائد: إحداها أن الحدث قد يكون فيما مضى، وفيما هو آتٍ. وليس في صيغته ما يدل على المضي أو الاستقبال. فجاءوا بلفظ الفعل المشتق منه مع "أن" ليجتمع لها الاخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان. الثانية أن "أن" تدل على إمكان الفعل دون الوجوب أو الاستحالة. الثالثة: أنها تدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه"[25].

ب- الاستبدال الاطرادي المحول عن مشتق(الاستبدال الذي بنيته العميقة مشتق):

التحويل بالاستبدال يُوجِب علينا الوقوف عند البنية التركيبية (الجملة الوظيفية) التي قوامُها الموصول الاسمي وصلته. قال ابن يعيش: "إن الذي" وأخواته مما فيه لام إنما دخل توصلا إلى وصف المعارف بالجمل[26]. وذلك أن الجمل نكرات، أرادوا أن يكون في المعارف مثل ذلك، فلم يَسُغْ أن تقول مررت بزيد أبوهُ كريمٌ، وأنت تريد النعت لزيد، لأنه ثبتَ أن الجمل نكراتٌ، والنكرةُ لا تكون وصفا لمعرفة، ولم يمكن إدخال "ال" التعريف على الجملة، لأن هذه اللام من خواص الأسماء، والجملة لا تختص بالأسماء، بل تكون اسمية وفعلية، فجاءوا حينئذ بالذي متوصلةً بها إلى وصف المعارف بالجمل، فجعلوا الجمة التي كانت صفة للنكرة صفة للذي، وهو الصفة في تمام اللفظ والغرض الجملة"[27]. ففي قوله تعالى: (واتقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأرْحَامَ) (النساء /1). يُطمَأن إلى إن البنية التركيبية "تساءلون" الذي ذهب "ابن يعيش" إلى أنه جملة جاءت لوصف "الذي"، وهو الصفة في تمام اللفظ والغرض الجملة، يُطمَأن إلى أن لفظة "الذي" جاءت لتقوم بمهمة تعريف البنية التركيبية "تتساءلون" لتصبح (الذي تساءلون)، أي "الذي" وصِلتُها بِنية تركيبية مضارعية، وظيفتُها وصف لفظ الجلالة المعرف "الله". فالموصول الاسمي مع صلته بمثابة اسم واحد، لأن الصلة هي مَبْعَثُ الفائدة، ولأن الوحدة اللغوية (اسم الموصول) إنْ هو إلا رابطٌ، شأنه شأن الموصول الحرفي.

ج- الاستبدال الطردي في الوصف(الاستبدال الذي بنيتُه العميقة فِعْلٌ):

هذا الاستبدال في المستوى النحوي، نقف عليه في الوصف العامل حين تحليل بنيته العميقة، وبيان أنها تَرتد إلى فعل مضارع، وقليلا ما ترتد إلى فعل ماض، وذلك عند أدائه إحدى الوظائف النحوية السبع (وظيفة المبتدأ الوصف الذي لا يحتاج إلى خبر وإنما يحتاج إلى مرفوع يسد مسد الخبر، أو وظيفة الخبر للمبتدأ الأصلي الذي يقتضي خبرا، أو خبرا محولا (خبر الناسخ) أو نعتا، أو حالا، أو منادى شبيها بالمضاف، أو مفعولا به ثانيا، أو اسما مجرورا).

ج – 1- ماهية الوصف:

لئن كان الصرف قد نظر إلى الاشتقاق على أنه وسيلة من وسائل تغيير البنى الإفرادية لتوليد بُنًى جديدة حَمالة معاني تُلبي الأغراض الدلالية لمستعمل هذه اللغة، فإن النحو بالمفهوم الانتحائي الذي بيَّنه "ابن جني"[28] كان كاشفًا الغطاءَ عن الدور الذي لهذه

المشتقات الخمسة التي هي (اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم التفضيل) التي لا يَصِح أن يُطلَق عليها هذا المصطلحُ إلا حين عملِها عمَلَ أفعالها، حين أدائها إحدى الوظائف النحوية المذكورة آنفًا، وليس كما هو مُتبدٍّ لبعضهم الذين يُطلقونه على هذه المشتقات أينما حلت وارتحلت.

ج– 2– الوصف وسبب الاصطلاح عليه بهذه التسمية:

لما كان اسم الفاعل (وهو أم الباب) –لا يَصِح أن نسميه وصفا إلا إذا اتصف بصفات فعله وعمل عمله بالشروط التي ينبغي أن تتوافر فيه، والمشتقات الأربعة الأخرى محمولة عليه– فإننا سنقف عند المجاراة في ثنائية اسم الفاعل والفعل المضارع.

إن العلاقة في هذه الثنائية تكشف الغطاء عن أن الفعل المضارع سُمي مضارعا لمضارعته اسم الفاعل في الحركات والسكنات، وعدد أحرفه، وأن اسم الفاعل إنما سُمي وصفا لاتصافه بصفات الفعل المضارع في العمل عَمَلَه. ولنا أن نقف على تعريف لسيبويه من قبيل التعريف بالتمثيل يجلي هذه الثنائية فحواه: "هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مَجْرَى المضارع في المفعول في المعنى. فإذا أردْتَ فيه من المعنى ما أردْتَ في يَفْعَلُ كان منونا نكرة، وذلك قولك "هذا ضاربٌ زيدا غدا فمعناه وعمله هذا يَضربُ زيدا غدا."[29]، ذلك أن مُراد "سيبويه" بِجَرْي الوصف (اسم الفاعل) على الفعل أنه يعمل عمله ، فينصب المفعول به إذا كان بمعنى الفعل المتعدي كما في المثال الْمَسُوق. ويكتفي برفع الفاعل إذا كان بمعنى الفعل اللازم. يُعَزز ذلك قول لابن يعيش جاء فيه أن اسم الفاعل الذي يعمل عمل الفعل هو الجاري مَجْرَى الفعل في اللفظ والمعنى. فإذا أريد ما أنت فيه، وهو الحال أو الاستقبال صار مثله من جهة اللفظ والمعنى فجرى مجراه وحُمِلَ عليه في العمل، كما حُمِلَ الفعل المضارع على الاسم في الإعراب لما بينهما من المشاكلة"[30] التي هي طَرْدِية عكسية. ومعنى جَريُه عليه في حركاته وسكناته أن عدد أحرف اسم الفاعل "كاتِبٌ" مثلا كعدد أحرف الفعل المضارع "يَكتبُ، وكاف "كاتِبٌ" مفتوحة كما ياء "يَكْتُبُ" مفتوحة، والألف الثانية ساكنة كما ثاني "يكتبُ"، والتاء فيهما مكسورة، والباء فيهما حرفُ إعراب[31] وهذا الْجَرْيُ في الحركات والسكنات طرْدِي في كل أسماء الفاعلين التي من الثلاثي ومن غير الثلاثي، الصحيح والمُعَل على حَد سواء[32]. والمشتقات الأربعة الأخرى التي لا مُجاراة بينها وبين الفعل المضارع مَحمولة على أم الباب، وهي بنية اسم الفاعل، ولكونها متضمنة حدثًا يُمثل القاسم المشترك بينها وبين هذا الفعل

العاملةِ عملَه، المتصفةِ بصفاته. لذلك فإن اسم الفاعل والمشتقات الأربعة الأخرى التي يُطلَق عليها "الوصف" لا يصح إطلاق هذا المصطلح عليها إلا حين ورودِها عاملةً عملَ أفعالها.

ج- 3- الوصف بين الإفراد و التركيب:

التساؤل الذي يُطرَح بإلحاح هو: هل الوصف بنية إفرادية أم بنية تركيبية؟ للإجابة عن هذا التساؤل ينبغي لنا أن نقف عند ثنائية الإسناد وثنائية الفعلية والاسمية التي للوصف. وسنجد أن الوصف لَئِنْ كان في ظاهره اسمًا، فإنه في بِنيته العميقة لا ينفكُّ أن يكون فعلا أو جملة فعلية.

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل نَلفِت النظر إلى أن النحويين العرب لم يقفوا عند حدود الشكل، بل عولوا على المعنى، وسنرى كيف أن هذا المعنى كان عندهم هو الْمُنطلَقَ لتحليل الْبُنَى اللغوية. وتجلى ذلك في قول بن هشام "وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفردا أو مركبا [33]. وأساس ذلك أن المعنى لا يتوصل إلى معرفة كُنْهه بالاعتماد على البنية السطحية للتركيب الإسنادي المنشود وَحْدَها. وبخاصة حين التعاطي مع البُنَى اللغوية الْمُحولة التي أدرك النحويون أن خلف مستواها السطحي يَكْمُن مستوى عميقٌ على ضوئه يتحدد المعنى الوظيفي له. فالإسناد يُقسم في النحو العربي على قسمين، إسناد أصلي، وإسناد غير أصلي. فالإسناد غيْرُ الأصلي هو الذي تَقُوم فيه العلاقة بين الوصف (أحد المشتقات الخمسة المصنفة ضمن دائرة الوصف) ومرفوعه الذي أسنِد إليه. وهذا الإسنادُ هو الذي أشار إليه "الاستراباذي" في مَساق تمييزه بين الكلام والجملة بقوله: "والفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمنت الإسناد الأصلي[34]، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا (...)، فيخرُجُ المصدر واسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة (...) مع ما أسندت إليه"[35] ليبين أن اللغة العربية تُوَظف نوعين من الإسناد، إسناد أصلي: يَتِم بين اسمين أو بين اسم وفعل، في الجملتين الاسمية والفعلية (النواتين الأصليتين)، وإسناد غير أصلي مُحَول، يَكُون بين الوصف ومعموله، من منطلق أن ثمة نوعين من التواصل، تواصل عادي، يوظف الجمل التوليدية النواة[36]، وتواصل راقٍ يستخدم الجمل المحولة بأحد أنواع التحويل الأربعة[37]، ومنه التحويل بالاستبدال الذي يُلجَأ فيه إلى الوصف بديلاً عن البنية التركيبية الفعلية المكافِئَة له نحويا على الرغم من أن ثمة فرقًا بين التعبير به والتعبير بالجملة المستبدَل بها. وحيث إن الوصف إسنادٌ غير أصلي، فإنه في تحليله لسانيا هو بنيةٌ تركيبية مضارعية، وقليلاً ما يكون

بنية تركيبية ماضوية، قِوامُ هذه البنية التركيبية الفعلية الوصف الذي تُعَد بنيته العميقة فعلا مسنَدًا إلى مسنَد إليه (فاعل) أو مسنَد إليه سَلْبي (نائب فاعل).

ج-4- شروط عمل الوصف:

لكي يعمل الوصف عمل فعله يجب أن يكون على إحدى الصورتين الآتي ذكرُهما، وهما: أن يكون نكرة، أو مقترنا بالسابقة "ال".

الصورة الأولى: وفيها يكون الوصف نكرة، وهي على قسمين: نكرة منونة، ونكرة مقترنة باللاحقة (النون).

القسم الأول:

فيه يكون الوصف نكرة منونا، حيث وضع "سيبويه" معايير محددة لاسم الفاعل (أم باب الوصف)، وذهب إلى أنه يجري مَجْرَى الفعل المضارع في المعنى والعمل حال كونه منونا نكرة، قائلا: "هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى. فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في يفعل كان منونا نكرة وذلك قولك هذا ضارب زيدا، فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيدا. فإذا حثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك وتقول: هذا ضارب عبد الله الساعة فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيدا الساعة[38]، أي أن الوصف النكرة المنوَّن لا يَعمَلُ إلا حين دلالته على الحال والاستقبال.

القسم الثاني:

فيه يكون الوصف نكرة مقترنا باللاحقة (النون التي للمثنى والنون التي لجمع المذكر السالم). يقول سيبويه "واعلم أن العرب يستخفُّون فيحذِفون التنوين والنُّون، ولا يتغير من المعنى شيء"[39] في نحو الوصف الوارد في قوله تعالى: (إنا مُنْزِلُونَ على أهلِ هذه القريةِ رِجْزًا مِنَ السماءِ) (العنكبوت/ 34) وهو "منزلون".

الصورة الثانية:

فيها يكون الوصف العامل مقترنا بالسابقة "ال"[40] التي بنيتها العميقة لسانيا الوحدة اللغوية "الذي" أو إحدى متصرفاتها (التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي، اللواتي).

ويستوقفنا على ذلك الوصفان الواردان في قوله تعالى: (والمُقيمينَ الصلاةَ والْمُؤْتُونَ الزكَاةَ) (النساء/162)، وهما "الْمُقِيمِينَ"، و"الْمُؤْتُون". ونلحظ أن دلالة الوصف الزمنية هنا هي

الحاضر، أو المستقبل متجلية في بنيتيهما العميقتين "الذين يُقِيمُونَ الصلاةَ"، و"الذين يُؤْتُونَ الزكاةَ".

أولا- صور التحويل الجذري:

أ- صور التحويل بإعادة الترتيب الجذري:

الصورة الأولى، ونقف عليها في قوله تعالى: (وإِذَا فَعَلُوا فاحِشةً قالوا وَجَدْنا عليها آباءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا) (الأعراف/28)، وهي (أمرنا بها) "المؤلفة من الفعل الماضي المثبت "أمر"، والفاعل الضمير المستتر "هو" أي "الله"، والمفعول به الضمير المتصل الذي للمتكلمين، "نا". وقد أدت هذه البنية التركيبية الماضوية المثبتة وظيفة خبر المبتدأ "الله". ويلاحظ أن وقوع اسم الله مبتدأ وبناء البنية التركيبية الماضوية عليه فيه تفخيم للأمر، وتأكيد لإسناده إليه، وأنه من عنده، وأن مثله لا يجوز أن يصدر عن غيره تنبيها على أنه وحيٌ معجِزٌ.

وقد عَرَضَ "الجرجاني" لمعنى الابتداء والخبر في مثل هذه الجملة المركبة المتضمنة خبرًا جاء بنية تركيبية فعلية قائلا: "فإذا قلتَ عبد الله[41] فقد أشعرت قلبه أنك قد أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث[42] فقلت مثلا: قام، أو قلت خرج أو قلت قدم فقد علم ما جئت به، وقد وطأت له وقد متَ الإعلام به، فدخل على القلب دخول الْمَأنوس به، وقبِله قَبول المتهيئ له المطمئن إليه، وذلك. لا محالة- أشد لثبوته وأنفى للشبهة، وأمنعُ للشك، وأدخَلُ في التحقيق"[43].

والرابط بين المبتدأ "الله"، والبنية التركيبية المذكورة إنما هو الضمير "هو". ومما يَجدر الالتفات إليه أن لهذا الضمير الموجود في فعل البنية التركيبية الماضوية (أمرنا) تأثيرًا يتمثل في زيادة التمكين والتوكيد، فكأنه تكرارٌ للمسند إليه. وقد سبق أن عرفنا أنه ليس ثمة شيءٌ أعلقَ بمعنى التوكيد كالتكرار. قال صاحب كتاب "الإشارات والتنبيهات": "من فوائد تقديم المسند إليه[44] إذا كان المسند ذا ضمير له[45] أن يقرر الحكم في ذهن السامع ويؤكده بسبب تكراره. (...) "زيد ركب"، فإنه كرر معناه ظاهرًا ومضْمَرًا مُستتِرًا"[46].

والبنية العميقة لتلك البنية اللاتركيبية الماضوية هي "آمِرُنا بها". ولم يَتم التعبير بالوصف "اسم الفاعل"، لأن الاختلاف بينهما دلالي تُوفره زيادة الصيغة الزمنية بالنسبة إلى

الفعل "أمرَ"، الذي يؤكد أن الأمر قد تم في الماضي بَيْدَ أن الوصف المقدر "آمرُنا" يفتقر إلى ذلك.

وفي قوله تعالى: (ومِمنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرَابِ مُنافِقونَ ومِنْ أهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا على النِفاقِ لا تَعلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) (التوبة/101)، يُسَجل أن الجملة الاسمية المركبة "نحن نعلمهم" احتوت على بنية تركيبية مضارعية بسيطة "نعلمهم" مكونة من فعل مضارع "نعلم"، وفاعل (الضمير المستتر "نحن")، ومفعول به (الضمير المتصل "هم"). ويلاحَظ أن هذه البنية التركيبية قد أدت وظيفة خبر المبتدأ "نحن". وبنيتها التوليدية "نعلمهم نحن" لذلك يسجل أن التحويل فيها جذري، غرضه القصر، انتقلت فيه الجملة من دائرة الجملة الفعلية إلى الاسمية.

والصورة الموالية سنجد أن البنية التركيبية المضارعية فيها مقترنة بالفاء الرابطة. ففي الآية الكريمة: (فَأَما الزبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأما مَا يَنْفَعُ الناسَ فَيَمْكُثُ في الأرضِ) (الرعد/17)، فالجملة المركبة في هذه الآية وقع فيها تقديمٌ، لا على نية التأخير أي تحويل جذري بمفهوم اللسانيات الحديثة. فالمبتدأ "الزبد" لم يُقدم للتركيز عليه، وإنما جُعل وسيلة للفت انتباه السامع إلى منطلق مشترك بين المتواصليْن، يُبنَى عليه الخبرُ الجديد. ولنا أن نقابل هذه الجملة المركبة في الفرنسية بالاستعمال الذي تحدث عنه "مار تنيه" في قوله: "كثيرا ما يحتل مدخل الجملة عنصر لساني لا يحمل وظيفة الفاعل، ذلك أن اللغة تلجأ إلى مثل هذا الاستعمال عندما تريد التركيز على هذا العنصر، مثل قولنا: "الرجلُ أَعْرِفُه". وهذا ما يدعم الاعتقاد بالأهمية التي توليها اللغة لصيغة الصدارة من كل المنظومات اللسانية، إذا إنها تؤدي من الناحية الشكلية على الأقل دور ما نُطلِق عليه صاحب الأولوية. وقد حلل سيبويه الجملة ذات التحويل الجذري قائلا: "فإذا بنيت الفعل[47] على الاسم قلت "زيد ضربته" فلزمت الهاء، وإنما تريد بقولك مبني على الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلت "عبد الله منطلق". فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به"[48]. لذلك فالبنية التركيبية المضارعية البسيطة "فيذهب جفاء" المؤلفة من فاء رابطة + فعل ماضٍ + فاعل "هو" + مفعول به "جفاء" مبني عليها المبتدأ "الزبدُ"، فهي في موضع خبر له "وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملا في المضمر وشغلته به[49] ولولا ذلك لم يَحسُن، لأنك لم تشغله بشيء"[50]. وأساس ذلك أن هذا العائد قد عمل على المحافظة على سلامة البناء، و ذلك بربط الخبر بالمبتدأ. وهذا الضمير الغائب "هو" في قوة الاسم الظاهر "الزبد" في حقل المطابقة. ولنا أن ننظر في

قوله تعالى: (أَأَنْتُمْ أَشَد خَلْقًا أم السمَاءُ بَنَاهاَ) (النازعات/27)، حيث نجد أن خبر المبتدأ "السماء" هو البنية التركيبية الماضوية البسيطة "بناها"، لأن في رفع المبتدأ "السماء" ما يَجعل عطف الجملة الاسمية المركبة "السماءُ بناها "[51] صالحًا على الجملة الاسمية البسيطة "أأنتم أشد خلقا".

وقد يكون التحويل الجذري في الجملة الاسمية التي خبرها بنيةٌ تركيبية منفية ونجد مثالا لها في قوله تعالى: (والذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لايَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ولا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) (الأعراف/197)، فالبنية التركيبية المضارعية المنفية (لا يستطيعون نصركم)، الواقعة خبرًا للمبتدأ المحول بالاستبدال الاطرادي عن الفاعل "الذين تدعون"، تفيد تأكيد نفي استطاعة نصرهم. ويلاحَظ فيها إثبات المسند المنفي إلى المسند إليه(الذين تدعون) أي تدعونه، الذي بنيته العميقة (الداعونه). يُعزز ما ذهب إليه قول عبد القاهر الذي جاء فيه: "واعلم أن هذه الصنيع يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت، فإذا قلت أنت لا تحسن هذا أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول: لا تحسن هذا. ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجابا بنفسه وأعرض دعوى في أنه يَحسن، حتى إنك لو أتيت بـ "أنت" فيما بعد يحسن فقلت: لا تحسن لم تكن له تلك القوة "[52]. والبنية العميقة لهذه البنية التركيبية المضارعية المنفية اسم فاعل عامل(أي وصف)، هو "غير مستطيعين نصركم". والتحويل في هذه الجملة الاسمية تحويلٌ جذري.

والتحويل الجذري في الجملة الاسمية نقف عليه في الجملة الاسمية التي يكون خبرها وصفا عاملا، لأن الوصف يتنزل منزلة فعله في نحو قوله تعالى: (فقالَ الضعَفاءُ للذين اسْتَكْبَرُوا إنا كُنا لَكُمْ تَبعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنا مِنْ عَذابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) (إبراهيم/21).

نجد الجملة الاسمية المركبة "فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء"[53] انطلاقا من الرؤية الوظيفية التي تحلل الجملة حسب الخانة الوظيفية التي تحتلها [54]، قد ورد خبرها "مغنون عنا من عذاب الله من شيء" جملة مضارعية مؤلفة من الوصف "مغنون" الذي هو في بنيته العميقة "يُغنون"[55]، وفاعله المتمثل في واو الجماعة، والمفعول به (شيءٍ) المجرور لفظا بحرف الجر الزائد (من)، المنصوب محلا. والبنية العميقة لهذه الجملة هي (فهل أنتم تُغنون عنا شيئا من عذاب الله). ولذلك فالتحويل فيها هو تحويل جذري، تقدم فيه الفاعل، فصار مبتدأ.

وفي قوله تعالى: (إِن اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ) (التوبة/64)، نجد الجملة الاسمية في هذه الآية الكريمة محولة تحويلا جذريا، ذلك أن البنية التركيبية المركبة "مخرج ما تَحْذَرُون"، أي "مُخرجٌ مَا تَحْذَرونَه" مؤدية وظيفة خبر "إن". وبِنيتُها العميقة "يخرج الحاذرينه". وقد ذكر الزجاج أن التنوين في الوصف (اسم الفاعل) "مخرجٌ" هو الأجود لدلالته على الحال والاستقبال. والبنية التوليدية لهذه الجملة الاسمية فعلية، هي (يُخْرِجُ اللهُ مَا تَحْذَرُونَهُ) صور التحويل بالزيادة الجذري:

والتحويل بالزيادة قد يكون جذريا، ونسوق لله قوله تعالى: (وجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ) (الكهف/86). إذ إن البنية التركيبية المضارعية "تغرب" المؤلفة من الفعل المضارع "تغرب"، وفاعله المضمر الذي لا ينفك عنه "هي" قد جاءت في محل نصب مفعولا به ثانيا للفعل الماضي الناسخ "وجد". وبنيتها العميقة "غاربة". والتحويل في هذه الآية تحويل جذري، حيث إن البنية التوليدية لهذه الجملة قبل زيادة عنصر التحويل "وجد" جملة اسمية (هي غاربةٌ)، أو (الشمس غاربة). وبعد التحويل بالزيادة صار المبتدأ مفعولا به أول، والخبر مفعولاً به ثانيا.

ويمكن أن تكون مثل هذه البنية التركيبية منفية. ونقف على مثال لها في قوله تعالى:

(يَحْسَبُونَ الأحزابَ لَمْ يَذْهَبُوا) (الأحزاب/20). إذ إن البنية التركيبية المضارعية "لم يذهبوا" هي في محل نصب مفعول به ثان للفعل المضارع الناسخ "يحسبون". وبنيتها العميقة "غير ذاهبين". ويسجل أن هذه البنية التركيبية تمثل "المسند" في البنية التوليدية للتركيب الإسنادي المنطوية عليه هذه الآية الكريمة، وأصلها خبرٌ، حيث إن البنية التوليدية للجملة المنسوخة بعنصر التحويل "يَحسبون" هي (الأحزابُ غيرُ ذاهبين).

وهذا التحويل الجذري تستوقفنا عندها الآية الكريمة: (وتَرَكْنَا بَعضَهُمْ يَومئذٍ يَمُوجُ في بَعْضٍ) (الكهف/99). فهذه الآية تضمنت جملة فعلية ماضوية (تركنا بعضهم يومئذ يَمُوجُ في بعض) بنيتُها التوليديةُ جملةٌ اسميةٌ، هي (بَعضُهم مائجٌ في بعضٍ)، وبدخول عنصر الزيادة: فعلُ التحويل (تَرَك) صارت الجملة فعلية وغَدَا المبتدأُ(بَعضُهُم) هو المفعولَ به الأولَ، والبنية التركيبية المضارعة البسيطة المثبتة "يَموجُ" المؤلفة من المضارع المرفوع "يَموج"، وفاعله المضمر الذي لا يَخلو منه "هو" وَرَدَتْ في محل نصب مفعولاً به ثانيًا لفعل التحويل الماضي

"تَرَكَ". وبنيتها العميقة "مائجًا". وهذه البنية التركيبية هي مسندٌ، لأن المفعول به الثاني لأفعال التحويل هو خبرٌ في الأصل؛ إذ إن البنية العميقة لمعمولي الناسخ الفعلي "ترك" هي (بَعْضُهُم مائجٌ في بَعْضٍ).

وهذا الخبر مَبْني حسب سيبويه على المفعول به الأول "بعضهم" . ولما كان في هذه الجملة الفعلية المركبة "تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض" إسنادان: إسناد الترك إلى المتكلمين (نا) في التركيب الإسنادي. "تركنا"، وإسناد الموج إلى بعضهم في التركيب الإسنادي "بعضهم يموج"، فإنه لا يمكن الاستغناء عن هذه البنية التركيبية المؤدية وظيفة المفعول به الثاني.

ثانيا – ماهية الاستبدال الاطرادي وغير الاطرادي:

أ- الاستبدال غير الاطرادي:

نقف عليه في تحويل اسم الفاعل إلى اسم مفعول في قول الحطيئة:

دَعِ الْمَكارِم لا تَرْحَل لبُغيتها واقعُد فإنك أنتَ الطاعِمُ الْكاسِي[56].

فالمشتقان (اسما الفاعلين): (الطاعم والكاسي) محولان بالاستبدال، بنيتاهما العميقتان: اسما مفعول (المطعوم والْمَكْسي).

ونقف على هذا الاستبدال غير الاطرادي في الوحدة اللغوية (هل) الواردة في قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدهْرِ لَمْ يَكُنْ شيئًا مَذْكورًا) (الإنسان/)، وقوله عز وجل: (هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الغاشِيَةِ) (الغاشية/1)، حيث إن الوحدة اللغوية (هل) مستبدلة بالوحدة اللغوية التي للتوكيد (قد) التي تكافئها دلاليا في الآيتين السالفتي الذكر.

ب – ماهية الاستبدال الاطرادي.

ب – 1- الاستبدال الاطرادي في المستوى النحوي:

هذا الاستبدال الاطرادي نجده في السابقة (ال) المقترنة بخبر المبتدأ، ذلك أن ورود السابقة (ال) في خبر المبتدأ إنما هو لإفادة القصر. ففي قوله عليه الصلاة والسلام: "الدينُ النصيحةُ"[57]، نحلل هذا النص على ضوء النظرية الوظيفية، فنقطع الجملة إلى كلمتين تتألف كل منهما من وحدتين دالتين (الدينُ) و(النصيحةُ)، فكلمة (الدينُ) تتكون من السابقة (ال)، وكلمة (النصيحة) تتكون من السابقة (ال)، ولكن وظيفة السابقتين في الكلمتين مختلفةٌ، فهي في الكلمة (الدينُ) أصليةٌ لتعريف المبتدأ. أما في الكلمة الثانية(النصيحةُ)، فهي لإفادة

القصر، لأنها لم تأت بحسَب أصل الوضع، لأن الخبر في أصله يكون نكرةً. والبنية العميقة لهذا النص النبوي الشريف هي "الدينُ نصيحةٌ".

والاستبدال الاطرادي نجده في السابقة (ال) المقترنة بالوصف العامل، حيث يسجل أن توجيهها الدلالي المتواري خلف بنيتها العميقة هو الوحدة اللغوية (الذي أو متصرفاتها). ففي الوصفين الواردين في قوله تعالى (والْمُقِيمِينَ الصلاةَ والْمُؤْتُونَ الزكَاةَ) (النساء/162)، وهما "المقيمين" و"المؤتون". فهي تكافئُ دلاليا الوحدة اللغوية (الذين)، ذلك أن البنية ونلحظ أن دلالة الوصف الزمنية هنا هي الحاضر أو المستقبل متجلية في بنيتيه العميقة للوصفين السالفَي الذكر هي "الذين يُقِيمُون الصلاةَ " و"الذين يُؤْتُونَ الزكاةَ".

ب– 2– صور الاستبدال الاطرادي في أسلوب القصر:

لقد ورد لهذا النوع من التحويل صور متنوعة. فالصورة الآتي ذكرها سنجد القصر في بنيتها التركيبية قوامُها الوحدتان اللغويتان (إنْ التي للنفي + إلا) في نحو قوله تعالى: (وتَظُنونَ إِنْ لَبِثْتُم إلا قليلاً) (الإسراء/52). فالبنية التركيبية الماضوية المؤكدة "إنْ لبثتم إلا قليلا" المؤلفة من حرف النفي "إنْ" والفعل الماضي المبني على السكون "لَبِث"، وضمير الرفع المتصل "تُمْ" المؤدي وظيفة الفاعل، وأداة الحصر "إلا" وظرف الزمان "قليلاً" هي في محل نصب مفعولاَ الفعل المضارع الْقَلْبي "تَظُنون". وهي تفيد إثبات تأكيدِ ظن قلة لَبْثِ المخاطبين. كيف نَصِلُ إلى ذلك؟ نَصِل إليه بالعودة إلى البنية العميقة للبنية التركيبية (البنية التوليدية الأصلية)، بحذف الوحدتين اللغويتين (حرف النفي الْمُحَول بالاستبدال الاطرادي (إنْ)، وحرف القصر الْمُحَول عن حرف الاستثناء (إلا) لنحصل على البنية التوليدية الفعلية (لَبِثْمْ قليلاً).

وقد يأتي القصر في مثل هذه البنية التركيبية من عنصري الزيادة (مَنْ) الذي للنفي+ حرف الحصر إلا)، وشاهدُها قوله تعالى: (قال ومَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِهِ إلا الضالونَ) (الحجر/56). حيث إن البنية التركيبية المضارعية "مَنْ يَقْنَطُ من رحمةِ رَبِهِ إلا الضالون" المؤلفة من الوحدة اللغوية "مَنْ" الْمُحَولة بالاستبدال الاطرادي للنفي، بمعنى "لا"، والفعل المضارع "يقنط" والجار والمجرور "من رحمة"، والمضاف إليه "رب" المتصل به الضمير "ه" المؤدية وظيفة المضاف إليه، وأداة الحصر "إلا" والفاعل "الضالون" مؤديةٌ وظيفةَ مَقُول القول.

ونقف على هذا الاستبدال الاطرادي في قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ".[58]

ونقف على هذا الاستبدال الاطرادي في قول دريد بن الصمة [59]

وهَل أنا إلا مِنْ غزية إن غَوَتْ غويتُ وإن تَرشُدْ غزيةُ أَرْشُد

ونقف على هذا الاستبدال الاطرادي في استبدال الوحدة اللغوية، ممثلة في اسم الاستفهام (أيْنَ) حين تضافرها مع أداة الحصر (القصر) لبناء أسلوب القصر في نحو قول مالك بن الريب[60]:

يَقولون: لا تبْعَدْ، وهُم يَدْفِنونَنِي وأيْنَ مَكانُ البُعْدِ إلاّ مَكانِي

وُظِّفت الوحدة اللغوية "أيْنَ"، والأصلُ فيها أن تُستعمل للسؤال عن المكان.

وقد تضمنت في البيت معنى "ليس"، فالشاعر يُقْصِرُ البُعدَ على مكانه. فكأنّه قال: ليس هناك مكانٌ للبعد إلاّ مكاني.

ب- 3- الاستبدال الاطرادي في البنى التركيبية:

يتناول هذا المبحث الْبُنَى التركيبية المحولة بالاستبدال المؤدية وظيفة من الوظائف النحوية الاحدى عشرة (وظائف المبتدأ، اسم الناسخ، وظيفية خبر المبتدأ، خبر الناسخ وظيفة الفاعل، نائب الفاعل، الحال، النعت، المضاف إليه المستثنى).

ب- 3-أ- الاستبدال الاطرادي في البنية التركيبية التي بنيتها العميقة مصدر:

الصورة الأولى نأخذ مثالا لها من قوله تبارك وتعالى: (وقُلنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْن إما أنْ تُعَذبَ وإما أن تَتخِذَ فيهم حُسْناً) (الكهف/86). إذ إن البنية التركيبية المضارعية البسيطة "أن تُعَذب" تقوم بوظيفة المبتدأ، وبنيتها العميقة "تعذيبُك". وخبرها محذوفٌ بنيتُه العميقة هي "واقِعٌ منكَ بِهم"[61]، لأن التركيب الإسنادي لا بُد أن يَشتمِل في أبسط صوره على طَرَفَيْه الأساسَيْن، وهما المسند إليه والمسند. وحذفُ أحد هذين الركنين إنْ هو إلا حذفٌ في البنية السطحية فقط. فهو لا يُلغِي الإسناد الْمَنْوي ذِهْنًا لأنهُ موجودٌ بالقوة في البنية العميقة[62]. ويندرج هذا الحذف تحت قاعدة ذهبية مؤداها أن الحذف جائز في كل ما يَدُل عليه الدليل، بشرط أن لا تتأثر صياغة التركيب الإسنادي تأثرا يؤدي إلى فساد لفظي أو معنوي[63]. وهذه الصورة تمثل البنية السطحية لهذا التراكيب الإسنادي. أما البنية العميقة التي توجه التحليل النحوي،

أو النموذج المجرد، أو الأصل، فهي "تعذيبك"، لأن "أن" والفعل بمنزلة مصدر فعله الذي تنصبه"، ذلك أن "أنْ يفعل" تصنف اسما من جهة أنه يمكن أن يستبدل بها اسم مفرد[64]. ويلاحظ أن وظيفتها في هذه الجملة الاسمية المركبة هي اسم الناسخ الذي للزمن (كان). ولم يتم التعبير بلفظ "تعذيبك"، لأن هذه البنية التركيبية الفعلية "أن تعذب" تضيف معنى آخر آتيًا من صيغة الفعل المضارع، لما فيه من معنى الاستمرار وبخاصة حين اقتران هذا المضارع بحرف مصدري. يمحضه للاستقبال بعد أن كان يحتمل الحال والاستقبال[65]، على خلاف ما لو قيل: (تعْذيبُكَ) انطلاقا من أن المصدر الصريح، موضوعٌ "على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يَقتضِيَ تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء"[66]. ومنه فإن الصيغة الفعلية للبنية التركيبية المؤدية وظيفة المبتدأ إنما يُلْجَأ إليها حين يَعْجِزُ المصدر الصريح عن الدلالة على هذه المعاني الإضافية المتمثلة في مزاولة حدث ما، ومعالجة حدث آخر وإهماله[67].

وقد تَرِدُ هذه البنية التركيبية المحولة بالاستبدال الاطرادي ماضوية، ونجد أنموذجًا لها في الآية الكريمة: (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أم أنتُمْ صَامِتُونَ) (الأعراف/193). حيث إن الجملة الاسمية المركبة المحتواة في هذه الآية مركبة من مسند (خبر) مقدم هو "سواء" والبنية التركيبية "أدعوتموهم". التي تتألف بنيتها السطحية من همزة استفهام + فعل ماض مبني على الضم "دعوا"+ فاعل (ضمير الرفع المتصل (تم) + مفعول به (الضمير المتصل "هم"). يلاحَظ أنها جاءت لتؤدي وظيفة المبتدأ في هذه الجملة المركبة. والبنية العميقة لهذه البنية التركيبية المحولة بالاستبدال الاطرادي الواقعة مبتدأ مؤخرًا مصدرٌ هو "دُعاؤُكم". ولقد صَرح "الفراء" بجواز وقوع ما اصطُلِح على تسميته بالبنية التركيبية في بحثنا هذا مبتدأ. قائلا عن هذه الآية الكريمة: "فيه شيءٌ يَرفع (سواءٌ عليكم) لا يَظهَر مع الاستفهام. ولو قلتَ: "سواءٌ عليكم صمتُكم ودعاؤكم تَبينَ الرفعُ الذي في الجملة"[68]. فالبنية العميقة لهذه الجملة الاسمية المركبة هي (دعاؤكم إياهم وصمتكم عليهم سواءٌ).

وقد ترد هذه البنية التركيبية المؤدية وظيفة اسم الناسخ مضارعية. وتقف على مثال لها في قوله تعالى: (ومَا كان لِنَفْسٍ أنْ تُؤْمِنَ إلا بإذْنِ اللهِ) (يونس/100). حيث إن التركيب الإسنادي "أن تؤمن" المكون من الحرف المصدري السابك "أن"، والفعل المضارع المنصوب "تؤمن"، والفاعل المضمر "هي" يمثل بنية تركيبية مضارعية بسيطة تؤدي في هذه الجملة

الاسمية المركبة المنسوخة وظيفة اسم "كان" التي يلاحظ أن خبرها جاء متقدما عليها لوروده جارا ومجرورا "لنفس". والبنية العميقة لهذه البنية التركيبية مصدر، هو "إيمانها". وعلى الرغم من أن هذه البنية التركيبية يمكن أن تستبدل بذلك الاسم المفرد، فإن ثمة فرقا في الدلالة بينها وبين هذا الاسم المفرد (المصدر) المستبدلة به، لأنها تمحض الإيمان للمستقبل. ولا تتركه مطلقا لو كان التعبير بالمصدر الصريح.

وقد يكون الاستبدال الاطرادي في هذه البنية التركيبية التي ترتد إلى مصدر قوامه الوحدة اللغوية (أن) ومعموليها التي نسوق لها الآية الكريمة: (وآذانٌ مِنَ اللهِ ورَسولِهِ إلى الناسِ يَوْمَ الْحَجِ الأكْبَرِ أن اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المشركينَ وَرَسُولِهِ) (التوبة/3). فالبنية التركيبية الاسمية "أن الله بريءٌ" المؤلفة من "أن" ومعموليها اسمها "اللهَ" وخبرها "بَرِيءٌ" وظيفتها خبرُ المبتدأ "آذانٌ". وبنيتها العميقة مصدرٌ، هو (براءةُ اللهِ من المشركين)، أي تأكيدُ براءةِ اللهِ من المشركين.

ب-3- ب- الاستبدال الاطرادي في البنية التركيبية التي بنيتها العميقة مشتق:

هذا النوع من الاستبدال الاطرادي له صور متنوعة، نقف على إحداها في قوله تعالى: (والذين كَذبُوا بآياتِنا واسْتَكْبَرُوا عنها أولئك أصحابُ النارِ هُم فيهَا خالِدُون) (الأعراف/36)، حيث إن البنية التركيبية "الذين كذبوا بآياتنا" المكونة من اسم الموصول "الذين" والفعل الماضي "كذبوا"، وواو الجماعة "الفاعل" ماضويةٌ جاءت لتؤدي وظيفة "المبتدأ". بنيتها العميقة مشتق (اسم فاعل) هو "المكذبون بآياتِنا". وقد جاء المبتدأ في هذه الجملة المركبة بِنيةً تركيبية موصولةً للإشارة إلى نوع الخبر المحكوم عليه. إذ يَتفطنُ المخاطَبُ من فاتحة الكلام التي يُومِئُ فيها مدلولُ صِلَة الموصول "كذبوا بآياتنا" إلى ما تَدل عليه خاتمتُه. وبذلك يكون خبرُ مثل هذه البنية التركيبية بمثابة التأكيد على ما أُشير إليه أولَ الكلام. وفي قوله تعالى: (هُوَ الذي أنْزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً) (النحل/10) نجد البنية التركيبية الفعلية البسيطة "الذي أنْزَلَ من السماء ماءً"، المؤلفة من اسم الموصول "الذي" والفعل الماضي "أنزل"، وفاعله المضمر "هو"، والجار والمجرور "من السماء"، والمفعول به "ماءً" قد أدتْ وظيفة خبر المبتدأ "هو"، لأن الذي وصلته بمنزلة اسم واحد. فإذا قلتَ هو الذي فعل فكأنك قلت هو الفاعل[69]. ولَما كانت البنيةُ العميقة لتلك البنية التركيبية وَصْفًا (اسم فاعل)، هو "الْمُنْزِلُ مِنَ السماءِ ماءً"، فإن مَجيء الخبر على هذه الصورة إنما كان لإفادة استحقاق المبتدأ للخبر. فالمبتدأ (هُو)، أي "الله" في هذه الجملة الاسمية المركبة هو المستحق لأنْ يُوصَفَ بصفة إنزال الماء من السماء

دون سِواهُ[70]. كما أن تعريف الخبر "الذي أنْزَلَ من السماء ماءً"، أي الْمُنْزِلُ من السماء ماءً " إنما جاء لقصره على المبتدأ وتخصيصه له.

وقد تأتي مثل هذه البنية التركيبية الماضوية البسيطة مؤديةً وظيفة المفعول به الأول لأفعال القلوب. وتستوقفنا عندها الآية الكريمة: (ولا تَحْسَبَن الذينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) (الأنفال/59). حيث إن البنية التركيبية الماضوية البسيطة "الذين كفروا"، المؤلفة من الموصول الاسمي "الذين"، والفعل الماضي "كَفرَ" المتصل به وواو الجماعة الفاعل هي في محل نصب مفعول به أول. بنيتها العميقة اسم فاعل، هو (الكافرين)، والبنية التركيبية الماضوية "سبقوا" مؤدية وظيفة المفعول به الثاني للفعل المضارع القلبي "تَحسبن". والبنية العميقة للمفعولين اِسمَا فاعل، هما(الكافرين، سابِقين)، وهذا المفعول به الأول في بنيته العميقه هو مبتدأٌ، والمفعول به الثاني(سبقوا) هو خبرٌ. لذلك فالتحويل في هذه الجملة هو تحويلٌ جذري.

ب–3– ج– الاستبدال الاطرادي في الوصف العامل (الذي بِنيتُه العميقة فعلٌ):

قد يأتي المسند في هذه البنية التركيبية وصفا عاملا في نحو قوله تعالى: (وتَحْسَبُهُمْ أيقاظًا وهُمْ رُقودٌ ونُقَلبُهُمْ ذاتَ الْيَمينِ وذاتَ الشِمَال وَكَلبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ) (الكهف/18) فالجملة الاسمية المركبة "كَلبُهُم باسطٌ ذراعَيْه" انطلاقا من الرؤية الوظيفية التي تحلل الجملة حسب الخانة الوظيفية التي تحتلها يلاحظ أن خبرها "باسط ذراعيه" ورَدَ بنيةً تركيبيةً ماضوية بسيطة مؤلفة من الوصف "باسِطٌ" المحول بالاستبدال الاطرادي، الذي بنيتُه العميقة (بَسَطَ)[77] وفاعله المضمر "هو"، والمفعول به "ذراعيه". والبنية العميقة لهذا الخبر الوارد وصفًا (اسم فاعل)، بِنيةٌ تركيبيةٌ ماضوية، هي "بسط ذراعيه"، وهي تُفيد أن زمن الْبَسْط إنما كان في الماضي.

وقد يَرِدُ "المسنَدُ" الوصف في مثل هذه البنية التركيبية الواقعة خبرًا للمبتدإ فيها "اسم تفضيل" في نحو قوله تعالى: (فاللهُ أحَق أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنتُمْ مُؤْمِنينَ) (التوبة/13). حيث إن البنية التركيبية المضارعية المركبة "أحق أن تخشوه" المؤلفة من اسم التفضيل "أحق"، والبنية التركيبية المضارعية البسيطة "أن تخشوه" المؤدية وظيفة الفاعل للمسند "أحق" المحول بالاستبدال الاطرادي، الذي يسجل أن بنيته العميقة هي "يحق" قد أدت هذه البنية التركيبية المضارعية المركبة وظيفة خبر المبتدأ "الله". والبنية العميقة لها هي "تَحق خشيتُه أكثر".

ومثل هذا الوصف قد يرد خبرا للناسخ "لعل". ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (لَعَلكَ تاركٌ بَعضَ ما يُوحَى إليك) (هود/12). فالبنية التركيبية المضارعية (تاركٌ بعضَ ما يُوحَى) المؤلفة من الوصف "تاركٌ" العامل عمل فعله "تترك"، وفاعله الذي لا ينفك عنه "أنت"، والمفعول به "بعضَ ما يوحى" مؤدية وظيفة خبر "لعل". وبنيتها العميقة "تترك بعض الموحَى إليك". وهي تفيد ترجي ترك بعض الموحى إليه، وارتقابه.

والحال قد تَرِدُ وصفًا عاملا. ففي قوله تعالى: (وجَعَلْنَا لكم فيها مَعَايِشَ قليلاً مَا تَشْكُرُونَ) (الأعراف/10) فالوصف، الصفة المشبهة (قليلاً) مع فاعلها الوارد بنيةً تركيبية مضارعية (ما تشكرون) مُؤدٍ وظيفةَ الحال. وهو محول بالاستبدال الاطرادي، بِنيتُه التوليدية هي (قليلاً الشاكرون لها)، بنيتها العميقة، "يَقِل الشاكرون لها".

وقد ترد البنية التركيبية محولة بالاستبدال الاطرادي لمجيء النعت فيها وصفا مُعَرفًا منزلا منزلة فعله في نحو قوله تعالى: (الذينَ يَقولُون رَبَنَا أخْرِجْنا مِنْ هذهِ الْقَرْيَةِ الظالمِ أهْلُهَا) (النساء/75). ذلك أن البنية التركيبية "الظالمِ أهلُهَا" تُماثِل التركيبَ الإسنادي "التي يَظلِمُ أهلُها" لأن السابقة (ال) المقترنة بالوصف (اسم الفاعل) "الظالم" تُكافِئُ وظيفيًا الوحدةَ اللغوية (التي). وهذه البنية التركيبية المضارعية المؤديةُ وظيفةَ النعت للمنعوت "القريةِ" تُفيد الذم[72].

وقد ترد مثل هذه البنية التركيبية المحولة بالاستبدال الاطرادي المؤديةُ وظيفةَ النعت للمنعوت النكرة وصفًا (اسم مفعول). ففي قوله تعالى: (ذلك يَوْمٌ مَجْمُوعٌ له الناسُ)(هود/103) يُسَجل أن الوصف (اسم المفعول) النكرة المنون "مجموعٌ " جاء مؤديا وظيفة النعت للخبر المرفوع "يومٌ ". وقد رفع نائب فاعله "الناس". لذلك فإن البنية العميقة لهذا النعت بنيةٌ تركيبية مضارعية، هي(يُجمَع له الناسُ). ولا يُعَد مثل هذا النعت مُفْرَدًا.

4- الاستبدال الاطرادي في البنى الإفرادية:

وهو الاستبدال الذي يَتجلى في ظاهرتي الإعلال والإبدال. وهذا الاستبدال في المستوى الصوتي نقف عليه في الْبُنَى التي مَسها إعلالٌ بالقلب، في فاءاتها أو لاماتها أو أعْيُنها. أو مَسها إبدالٌ.

4– أ– البنى الإفرادية المحولة بالاستبدال الاطرادي(البُنَى الْمُعَلةُ بالقلب):

الاستبدال الطردي (الإعلال بالقلب) هو تغيير يَطرَأ على أحد أحرف العلة الثلاثة (الواو، والياء، والألف) والهمزة، لأنها تقاربها بكثرة التغيير[73]، وذلك طلَبًا للخفة والتجانس في أصوات الكلمة[74]. ويكون الاستبدال إما في فاء الكلمة أوعينها، أو لامها.

أ– استبدال فاء الماضي التي أصلها همزة ألفا:

ونقف عليه في قوله تعالى: (لقد آثرَكَ اللهُ عَلينا) (يوسف/91). ذلك أن الفعل "آثَرَ" ماضٍ جاء على وزن "أَفْعَلَ". بنيتُه العميقة "أأَثَرَ". تَوالتْ فيها همزتان: همزةٌ ساكنةٌ (فاءُ الفعل) بعد همزة مُتحركة بالفتح، وهي همزةُ التعدية. فاستُبدِلت الهمزةُ الثانيةُ ألِفًا[75]؛ أي مَدا يُجانس حركة الفتحة التي على الهمزة التي قبلها تَجنبًا للثقل الآتي من اجتماع همزتين، لأن في ذلك عُسْرًا في النطق.

ب– استبدال عينه:

ب1– استبدال عينه التي أصلها واو أو ياء ألفا:

حين نتأمل الآيتين الكريمتين:(قال أنا خَيْرٌ مِنْهُ) (الأعراف/12)، و(ضَاقَتْ عَلَيْكُم الأَرْضُ) (التوبة/25) نَجد أن الفعلين "قال"، و"ضاقَ" جاء وزناهُما على "فَعَلَ". لأن بنيتيهما العميقتين "قَوَلَ"، و"ضَيَقَ". وما يؤيد ذلك هو أن مصدريهما "قَوْل" و"ضَيْق".

ظهرت فيهما هذه الواوُ، وهذه الياءُ. استُبدلت عيْناهُما: الواوُ في الفعل "قَوَلَ"، والياءُ في الفعل "ضيَقَ" ألفيْن[75]. والذي سَوغَ لذلك تَحَركُهُما في الأصل، وانفتاحُ ما قبلهما الآنَ[76]. وهما الحرفان: القافُ والضادُ. أي نتج عن الحركتين القصيرتين المتماثلتين المتمثلتين في الفتحتين المتواليتين مدا[77] (ألفًا) فيه مُطِلَت الفتحةُ[78] هُرُوبًا من جَمْع المتجانسات. ذلك أنه لما "اجتمعت ثلاثةُ أشياء متجانسةٍ[79]، وهي الفتحةُ، والواوُ أو الياءُ، وحركةُ الواو والياء، كُرِهَ اجتماعُ ثلاثة أشياء متقاربةٍ. فتَم الفرارُ من الواو والياء إلى لفظ تُؤمَنُ فيه الحركة وهو الفتحةُ."، وأساسُ ذلك أن القاعدة الصوتية لاستبدال الألِف من غيرها أن هذه الألِفَ حرفُ مَد، وهو امتدادٌ للفتحة. وجاء بَدَلاً من الحروف الضعيفة طلبًا للانسجام والتجانس بين أحرُف الكلمة وحركاتِها[80].

ومثل هذا الاستبدالِ الاطرادي لا يَخُص الثلاثي المُجَرد. بل يَشمَلُ المزيدَ منه. قال تعالى: (واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ) (الأعراف/155)، وقال: (فاسْتَجَابَ لَكُمْ) (الأنفال/9). ذلك أن

الفعلين: "اختَار"، "استجَاب" أجوفان. الأولُ ثلاثي مَزيدٌ بحرفين، همزة الوَصْل والتاء (ا، ت). والثاني مَزيدٌ بثلاثة أحرف (ا، س، ت). وكانت بِنيتاهُما العميقتان "اخْتَيَرَ"[81] و"اسْتَجْوَبَ" على وَزْنَيْ "افْتَعَلَ"، و"اسْتَفْعَلَ". وهو أمرٌ مُسْتَثقَلٌ في النطق. فاستُبدِلت الياءُ في "اخْتَيَرَ"، والواو في "اسْتَجْوَبَ" أَلِفيْن. طلبًا للخفة والانسجام الصوتي. والدليلُ على صِحة أن البنيتيْن العميقتيْن للفعلين المذكورين "اخْتَيَرَ". و"استوجب" هو ما ظهَر من مثل هذين المثاليْن المحولَيْن بالاستبدال على أصله. وهو الفعل الوارد في الآية: (اِسْتَحْوَذَ عَليهِم الشيطانُ) (المجادلة/58) "اِسْتَحْوَذَ ". فتصحيح عَيْنِ هذا الفعل (الواو) جاءَ تنبيهًا على أصلها. إذ إن القياس يَقتضِي أن يكون "اِسْتَحَاذَ".

ب- **استبدال عَيْن اسم الفاعل:**

حين نتأمل الآية: (مِنْهَا قائِمٌ وحَصِيدٌ) (هود/100) نلاحِظ أن كلمة "قائِمٌ" اسم فاعل مشتق من الفعل الثلاثي الأجوف الواوي الْمُعَل "قامَ"، الذي بنيتُه العميقة "قَوَمَ". ومن ثم فإن الفاعل منه كان حَقه أن يكون "قاوِمٌ" على وزن "فاعِل". وحيث إن اسم الفاعل يُعَل بالقلب حَمْلاً على فعله صارت صورتُه "قَام". فالتقى أَلِفَان "ساكِنان"، ولمْ يَجُز حذفُ إحداهما، لأن ذلك يُعيد اسمَ الفاعل إلى صيغة الماضي "قامَ". وحيث إنه تَحركت الألفُ الثانية التي هي عَيْنُ اسم الفاعل بالكسر، استُبدِلتْ همزةً تَجَنبًا لتوالِي مِثْلَيْنِ[82]. ذلك لأن "الألف حرفٌ ضعيفٌ واسعُ المُخْرَج، لا يَحتمِل الحركة، والعربُ إذا اضطروا إلى تحريكه استبدلوه بأقربِ الحروف إليه وهو الهمزةُ" يُعَزز هذا قول "لسيبويه" جاء فيه: "اِعْلَمْ أن فاعلاً منها مَهموزُ العيْن، وذلك أنهم يَكرَهون أن يَجيء على الأصل مَجيءَ مالا يَعْتَل فعلٌ منه، ولم يَصِلُوا إلى الإسكان مع الأَلِف، وكَرِهُوا الإسكانَ والحذْف فيه فَيَلتَبِس بغيره، فهَمَزُوا هذه الواوَ والياءَ إذا كانتَا مُعتلتيْن وكانتَا بعد الأَلِفات."[83]

هذا القول يُؤكد أن اسم الفاعل من الثلاثي الأجوف الواوي أو اليائي تُهْمَزُ عينه (ألفه)، لأن الألف مَتى تَحركت صارت همزةً. وبذلك صار الاسم "قائِم" وزالَ الثقَلُ والتعذرُ.

الاستبدال في صيغة المبالغة:

لا يَمَس الاستبدال إلا لامها. ونقف على أنموذج لذلك في الصيغة الواردة في قوله تعالى :(هَمازٍ مَشاءٍ بِنَمِيمٍ) (القلم/11) وهي "مَشاء"[84]، التي جاءت على وزن "فَعال". وهي مشتقة من الفعل الثلاثي اللازم المجرد الناقص "مَشَى" الذي بنيتُه العميقةُ "مَشَيَ". وكان

أصل صيغة المبالغة منه أن تكون "مَشاي". وحيث إن القاعدة الصوتية تقضي بأن الياء متى كانت طرفا في الكلمة، لم يكن بد من أن تستبدل همزة، استبدلت الياء (لام صيغة المبالغة) همزة طلبًا للخفة، وبذلك انتهى هذا المشتق (صيغة المبالغة) إلى الصورة التي هو عليها "مَشاء".

الاستبدال في البنية الإفرادية (المصدر):

أ- استبدال فائه التي أصلها همزة ياء:

حين نتأملُ الآية: (اِسْتَحَبوا الْكُفْرَ عَلَى الإيمَانِ) (التوبة/23). نجد أن البنية الإفرادية "الإيمان" مَصدَرٌ قياسي وزنُه "الإفعَال". بنيتُهُ العميقة "الإئْمَان". تَوالت فيه همزتان. وفي ذلك ثِقَلٌ مضاعَفٌ باعتبار أن الهمزة المفردةَ تُشكِلُ ثقلاً. عندئذ لم يكن مَناصٌ من استبدال الهمزة الثانية (فاء المصدر) مَدا يُجانس حركة الهمزة الأولى، فكانت الياء، لأن الياء من جِنْس الكسرة. وبذلك تَحول الصوتان الصحيحان (الهمزتان) إلى صوت صحيح واحد، حركتُه طويلةٌ، تيسيرًا للنطق. و"استُبْدلت الثانيةُ، لأن الثقل منها حَصَل، وإنما دُبرتْ بحركة ما قبلها لتناسب الحركةُ الحرفَ الذي بعدها فتخف الكلمة". لأن الهمزة عند استبدالها تُستبدَل ألفاً أو واوًا، أو ياءً. تَبَعًا للحركة القصيرة أو الطويلة التي سبقتها".

4- ب- الاستبدال الاطرادي في البنى الإفرادية الْمُحَولة بالإبدال.

4-ب 1- في الفعل الماضي:

4-ب-1-أ- استبدال الصحيح من الصحيح: وأهم مظاهره استبدالُ "تاء الافتعال".

ونقف على أنموذج لذلك في قوله تعالى: (وادكَرَ بَعْدَ أُمةٍ) (يوسف/45)، ذلك أن الفعل (ادكَرَ) ماضٍ، وزنه (افْتَعَلَ) لأن بنيته العميقة (اذتَكَرَ)[85]، ولا يُنطَق بتاء افتعل على الأصل إذا كانت الفاءُ أحدَ أحرُف الإطباق[86] أو دالاً أو زياً أو ذالاً. وفاءُ الفعل هنا هي الذال المعجمة[87]. اجتمع في هذا الفعل تاء افتعل والذال المعجمة التي هي فاء الكلمة، وفي ذلك استثقالٌ لأنهما مشتركان في مخْرَجٍ واحد، هو المخرجُ الأسناني، ولأن بينهما تباينًا في الصفة، حيث إن التاء حرفٌ مهموسٌ، والذال حرفٌ مجهورٌ، فاستُبدِلت التاء حرفا من موضعها يوافق الحرف الذي قبلها في صفة الجهر، وهو الذال المعجمة، فكانت الدال المهمَلة لأن العربَ "أرادوا تَجنيس الصوت، وأن يكونَ العملُ من وَجهٍ، بتقرب حرف منحرف"[88]. ولما

كانت الذال ساكنة، أُدْخِل الذالُ في الدال[89]، أي أدغم الحرفان لتوفير شرطي الإدغام: سُكونُ الأول وتَحَرك الثاني، والداعِي لذلك هو تحقيقُ التناسب بين صوتي الذال والتاء.

وفي قوله تعالى: (إني اصْطَفَيْتُكَ عَلَى الناسِ) (الأعراف/144) نَجِدُ الفعل (اصطفيتك) بنيتُه العميقة (اصْتَفَيْتُكَ) على وزن (افْتَعْلتُكَ)، حيث إن التاء حرفٌ مهموسٌ غيرُ مستعلٍ، والصادُ يُنافيه لأنه مُستَعْلٍ مُطْبقٌ، استُثقل اجتماعُهما لِمَا بينهما من تبايُنٍ في الصفات، ولكونهما من مخْرَجٍ واحدٍ (الأسنان واللثة)، فوجبَ استبدال التاء حرفًا من موضعها، يُناسب الصاد في الصفات، فكان أنْ اختيرَت الطاء[90] لأنها تُعَد في هذه الكلمة (اصطفيتك) وحدةً جامعة بين تفخيم الصاد وترقيق التاء. وجاء هذا الاستبدال تحقيقا للانسجام الصوتي لأن القاعدة الصوتية تقضي أبدا إبدال التاء طاء متى وقعت بعد حرف من أحرف الإطباق التي يُعَد الصاد واحدا منها، حتى يتم التقارب والانسجام بين الحرفين ويكون عمل اللسان من وجه واحد[91]. أي أن علة الإبدال في افتعل هي التباعد بين التاء والصاد، فتم التقريب بينهما لتسهيل النطق، والتقليل من الجهد العضلي.

وهذا الاستبدال طَرْدِيٌ في كل متصرفات مثل هذا الفعل، (يصطفي، اصطفِ، اصطفاء).

4-ج- الاستبدال الاطرادي في ميزان المماثلة:

أهم مَجْلَى للمماثلة هو ذلك الذي يُؤَدي فيه الاستبدال – نتيجة اجتماع مِثْلَيْنِ- إلى إدغام أحدهما في الآخر، ويَتحقق من خلال ما يلي:

4-ج-أ- استبدال صحيح من صحيح:

ونقف عليه في الفعلين الواردين في الآيتين الكريمتين التاليتين (ولَو اطلَعْتَ عليهم) (الكهف/18)، و(ادكَرَ بَعْدَ أمةٍ) (يوسف/45)، (الأعراف/38)، وهما: "اطلع"، و"ادكَرَ"، حيث إن أصل هذين الفعلين هما: اطْتَلَعَ، اذْتَكَرَ، استُبدِلت تاءُ الافتعال في الفعلين (اطلع) و(ادكر) طاءً أو دالاً، ثم أدغِمت في فاء الكلمة تحقيقًا للمماثلة. التي سعت اللغة العربية من خلالها إلى تحقيق مستوى من الاستخفاف.

4-ج-ب- استبدال صحيح من عليل:

ونجد أنموذجا له في الآيتين الكريمتين (فمَن اتقَى وأصلَحَ) (الأعراف/35)، و(فاتخَذَ سَبيلَه في الْبَحْر) (الكهف/61)، إذ إن البنية العميقة للفعلين (اتقى) و(اتخذ)، (اوْتَقَى)،

(ائْتَخَذ). تَم استبدال الواو أو الهمزة (فاء الفعلين) حرفا يماثل الحرف الذي يجاوره (تاء الافتعال) تاءً، ثم إدغامُه فيه طلبًا للمماثلة بين الصوتين.

ب- وهناك مماثلة لا يتم فيها الإدغام: وتتحقق إذا بُنِيَ الافتعال من كلمة فاؤها صادٌ أو ضادٌ أو طاءٌ أو ظاءٌ أو ذال أو دال، أو زايٌ، قال تعالى: (إني اصْطَفَيْتُكَ) (الأعراف/144)، فالفعل (اصطفيتك) بنيته العميقة (اصتفيتك)، استُبدِلت تاء "افتعل" حرفا يماثل الحرف المُمَاس له، وهو الصاد فكانت الطاء تحقيقا للمماثلة. ونقف على مثال للمماثلة التي تتم بالإدغام في الفعل الوارد في الآية (أَفَغَيْرَ الله تَتقُونَ) (النحل/52)، وهو: (تَتقُون) الذي بنيتُه العميقة (تَوْتَقُون) استُبدِلت الواو (فاء الفعل)، حرفًا مماثِلا للحرف المُمَاس له، وهي تاءُ الافتعال فكانت التاء، ثم أُدغِمَتْ فيها طلبًا للمماثلة.

خاتمة:

1- انتهى البحث إلى أن الجملة التي لها بِنْيتان، إحداهما سطحيةٌ والأخرى عميقةٌ إنما هي الجملة الْمُحَولة بأحد أنواع التحويل الأربعة. أما الجملة التوليدية فلها بنيةٌ واحدةٌ سطحية.

2- التحويل بإعادة الترتيب قد يكون جِذريا، حين يُسَجل فيه تقدمُ الفاعل المنطقي وتنتقل فيه الجملة الفعلية التوليدية إلى جملة اسمية، سواء أكانت هذه الجملة محضة أم منسوخة بالنواسخ الفعلية أو الحرفية. وقد يكون محليا حين يُسجل في الجملة النواة تقديم الخبر، أو المفعول به، أو أحد عناصر التوسعة الأخرى من نحو الحال، أو النعت وسوى ذلك.

3- لقد بَينَ البحث أن التحويل الذي بالزيادة يكون جذريا، حين يكون عنصر الزيادة متمثلا في أفعال (ظن) وأخواتها، التي تتحول معها الجملة الاسمية إلى فعليه، فيصبح فيها المبتدأ مفعولا به أول، والخبر مفعولا به ثانيا. أما الزيادات الأخرى –سواءٌ أكانت لتحديد زمن الخبر، من نحو كان وأخواتها، أم لغرض التوكيد أو النفي أو الاستفهام– فإن التحويل معها يكون مَحَليا، حيث تَبْقَى الجملة في دائرة الفعلية أو الاسمية مع هذه الزيادات.

4- انتهى البحث إلى أن التحويلَيْنِ: التحويل بالزيادة، والتحويل بإعادة الترتيب بنوعيهما الْمَحَلي والجذري يَمَسان الْبِنْية التركيبية التي تُؤَدي مختلف الوظائف النحوية وأنه بُغْيَةَ

اسْتِكناه البنية العميقة لهذه التراكيب الْمُحَولة، لا بُد من الرجوع إلى بنياتها التوليدية (بتجريدها من تلك الزيادات، أو العودة إلى ترتيبها الأصلي).

5- أبرز البحث أن الاستبدال الذي تنادَي به " دي سوسير" ومن شيعته "بلومفيدلد" و"أندري مارتنيه" و"تشومسكي" هو استبدالٌ غَيْرُ اطرادي، لا يُقَدم كبير فائدة للتحليل اللساني لِلْبُنَى اللغوية العربية.

6- الْبُنَى التركيبية الوظيفية المحولة بالاستبدال الاطرادي بنيتها العميقة لا تَخْرُج عن أحد الاسمين: المصدر أو المشتق. فالبنية التركيبية المبدوءة بموصول حرفي، أو بهمزة التسوية تكون بنيتها العميقة مصدرا، سواء أكانت هذه البنية التركيبية ماضوية، أم مضارعية، أم اسمية. أما البنية التركيبية المبدوءة بموصول اسمي، والمجردة من الرابط فتكون بنيتها العميقة مشتقا (اسم فاعل، أو ما يجري مجراه، اسم مفعول، صفة مشبهة).

7- سَجل البحث أن إمكانية التبادُل في هذا الموقع بين البنية التركيبية الوظيفية المحولة بالاستبدال الاطرادي، والمفرَد الذي تَرتد إليه، لا تَعْنِي البتةَ تطابقَ المعنى بين المتبادَلين المتكافئين وظيفيا. إذ لو كان المعنى متطابقا لاستُغْنِيَ عن أحدهما، واكتُفِيَ بالآخر ما دام مُعَبِرًا عن المعنى نفسه.

8- إذا كان بعضهم يتعامل مع المشتقات الخمسة التي يُصْطلَح عليها بالوصف معاملة الأسماء الحقيقية –سواءٌ أعَمِلت، أم لم تَعْمَل– فإن هذا البحث يُخْرِجُ تلك المشتقات من دائرة الاسمية، ويُدْخِلها في دائرة الفعلية فقط، حين اتصافِها بصفات أفعالها، وعَمَلِها عَمَلَها.

9- الاستبدال الاطرادي في أسلوب القصر قوامُه الوحدة اللغوية (إلا) والوحدة اللغوية التي قبلها التي تُستبدَل حتمًا بنفي، سواءٌ أكانت تلك الوحدة هي الحرْفَ (إنْ أم هَلْ) أم اسمَ الاستفهام (مَنْ، أيْنَ ....)

10- في معرض تحليلنا للاستبدال الاطرادي في البُنَى الإفرادية، رأينا أنه سُنةٌ من سُنَن العرب، يَلْجأون إليه في كلامهم لغرَض التخلص من الثقل الذي يُسببه تنافر بعض الأحرف وعدَمُ انسجامها الصوتي فيما بينها، في حالة مُجاورتها بَعْضِها بَعْضًا، ورأينا أن هذا الاستبدال ذُو شعبتين: استبدالٌ في البنى الإفرادية الْمُعَلة بالقلب، واستبدالٌ في البنى الإفرادية الْمُحَولة بالإبدال. فالأول يَخُص أحرف العِلة والهمزة، لِمَا بينهما من تقارب.

فالهمزة تُستبدَل حرفًا يجانس حركة ما قبلها، والواو والياء متى انفتح ما قبلهما استُبدِلتا ألفيْن، والألفُ حين تُستبدَلُ لم يكن بُد من أن تُستبدَل همزةً. ورأينا أن هذا الاستبدال الاطرادي يُصيب فاء البنية الإفرادية، أو عينَها، أو لامَها، ولاحظنا أن الأصوات اللغوية تتفاعل، ويؤثر بعضها في بعض إلى حد يفنى فيه الصوت في أخيه الصوت الآخر الْمُمَاس له.

11- خَلُصَ البحث إلى أن ظاهرة الاستبدال الاطرادي في البنى الإفرادية (المحولة بالإبدال) لا تخرج عن أحد النوعين:

1- استبدالٌ يُؤَثر فيه الحرف الأول في الثاني. فيحوله إلى حرف من جنسه، من حيث العلاقة المخرجية، أو الوصفية، تحقيقا للمماثلة، التي من أمثلتها استبدال تاء "افتعل" طاءً ، إذا كانت فاء الكلمة طاءً في جميع متصرفاتها.

2- استبدالٌ متبادَل: ويَتِم بتأثير الحرف الأول في الثاني، فيحوله إلى حرف قريب منه، أو مماثِل له. ثم يُستبدَل الحرفُ الأول إلى حرف من جنس الثاني المستبدَل أولاً، ويتحقق بالإدغام، نحو: "ادّكر" ومتصرفاته. وهو استبدال اطرادي في تاء الافتعال.

الهوامش:

(1) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: المرجع نفسه، ص21.

(2) ينظر الأشموني: المرجع نفسه، 2/ 195.

(3) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص19.

(4) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص44.

(5) ظن وأخواتها تحول الجملة الاسمية إلى فعلية ضمن التحويل الجذري.

(6)اكتفينا في بحثنا هذا على فعل الرجاء (عسى) دون سواه.

(7) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص40.

(8) ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص106.

(9) الجرجاني: المرجع نفسه، ص135، 136.

(10) سيبويه: المرجع نفسه، 81/1.

(11) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1986، ص53.

(12) الزمخشري: المفصل، ص18.

(13) سيبويه: الكتاب، 2/ 36، 37.

(14) سيبويه: المرجع نفسه، 2/ 40.

(15) ومثال المبتدأ المحول عن مفعول به: المجتهد كافأه الأستاذ، وبنيته العميقة كافأ الأستاذ المجتهد. ومثال المبتدإ المحول عن اسم مجرور بالحرف: المجتهد أعجب الأستاذ به، وبنيته العميقة: أعجب الأستاذ بالمجتهد.

(16) محمد بن علي الجرجاني: الإشارات والتنبيهات، ص 49.

(17) ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، دت،1/ 23 وينظر علي الجارم: الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1949، ص375، 376.

(18) ينظر د.حسن خميس سعد الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، الاستقراء، التعليل، التفسير، دار الشروق، عمان، 2003، ص 137.

(19) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 133 ..

(20) ينظر د. محمد حماسة عبد الطيف: بناء الجملة العربية، ص 39، 40.

(21) عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص 20.

Look ،Emonds Joseph : transformations radicales conservatrices et locales , ED, seuil, Paris, p 52

(22) ابن جني: الخصائص، 97/1.

(23) سيبويه: الكتاب، 2/ 329 . .

(24) ابن يعيش: شرح المفصل، 59/8.

(25) ابن يعيش: المرجع نفسه، 63/1.

(26) الزمخشري: المفصل، ص 143، 144.

(27) ينظر ابن مالك: شرح التسهيل، 1 /2

(28) ينظر ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، د.ت،34/1.

(29) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط 1 بيروت: دار الجيل) 164/1.

(30) ابن يعيش موفق الدين، شرح المفصل، بيروت عالم الكتب، مكتبة المتنبي، د. ت/77/6.

(31) صدر الأفاضل الخوارزمي، شرح المفصل (التخمير)، تحقيق عبد الرحمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، 3/ 100.

(32) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ط5، دار الفكر، بيروت، 1985، ص 598.

(33)ابن هشام، مغني اللبيب، 527/2.

(34) والإسناد غير الأصلي هو ذلك الذي يتم بين الوصف ومرفوعه. (فاعله أو نائب فاعله).

(35) الاستراباذي، شرح الكافية في النحو ١٠٨/١.

(36) فالمبتدأ في الجملة التوليدية يأتي معرفاة لا نكرة، متقدما على الخبر، ويأتي مفردا لا بنية تركيبية، ويكون مذكورا لا محذوفا.

والخبر يأتي مفردا، لا جملة ولا شبه جملة، نكرة، لا معرفة، مذكورا، لا محذوفا، متأخرا، لا متقدما. والفعل في الجملة الفعلية التوليدية يأتي متقدما على مرفوعه وعلى المفعول به. ينظرد. محمد حماسة عبد اللطيف: المرجع نفسه، ينظر Chomsky Noom: Aspects OF the theroy of syntax , Cambridge Mass the M IT PressP36

(37) التحويل بالاستبدال والتحويل بالترتيب والتحويل بالحذف والتحويل بالزيادة. ينظر رابح بومعزة التحويل في النحو العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2008، ص49–54.

(38) سيبويه، الكتاب، 164/1.

(39) المرجع نفسه،168/1

(40) ابن يعيش: شرح المفصل، 63/1.

(41) ينظر عبد القهار الجرجاني: " دلائل الإعجاز، ص 99.

(42) يقصد بالحديث خبر المبتدأ. المحول عن الفاعل بالتقديم (التحويل المحلي أي التحويل على نية التأخير)

(43) ينظر سيبويه: الكتاب، 45/4.

(44) يقصد بالمسند إليه المبتدأ المحول عن الفاعل بالتقديم.

(45) يقصد بالمسند ذي الضمير، البنية التركيبية الفعلية المؤلفة من فعل ومرفوعه أيا كان هذا المرفوع (الفاعل، أو نائب فاعل).

(46) محمد بن علي الجرجاني: الإشارات والتنبيهات، ص49.

(47) أي أن الفعل مشغول بالضمير "الهاء في الفعل فهمته" فنصبه ولم ينصب المبتدأ الذي هو كلمة (التحويلُ) في الجملة (التحويلُ فهمتُه)

(48) سيبويه: المرجع نفسه، 81/1.

(49) سيبويه: المرجع نفسه، 85/1.

(50) Martinet André: Syntaxe gènèrale,P150.

(51) "بناها" بنية تركيبية ماضوية بسيطة. ينظر رابح بومعزة، المرجع السابق، ص126

(52) ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 216.

(53) ينظر السيوطي: همع الهوامع، 176/5.

(54)ابن هشام، مغني اللبيب، 527/2.

(55) ينظر رابح بومعزة ، المرجع السابق، ص38.

(56) الحطيئة: ديوات الحطيئة، ص، 51.

(57) صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2002م، 1،134

(58) الإمام النووي، الأحاديث النووية، طبعة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، 1395هـ، ص125.

(59) دريد بن الصمة، ديوان دريد بن الصمة، تحقيق دكتور عمر عبد الرسول، دار المعارف، 1980، ص57.

(60) مالك بن الريب: ديوان مالك بن الريب، ص،91.

(61) ينظر علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص297 ،298.

(62)ابن هشام: شذور الذهب، ص19.

(63) ينظرد. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص52،53.

(64)ينظرد. محمد حماسة عبد اللطيف: المرجع نفسه، ص52،53.

(65)عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص147. وينظر ابن يعيش شرح المفصل، 6:68.

(66) ينظر محمد محمد أبو موسى، دلالة التراكيب، ص 253.

(67)الناسخ سواء أكان الناسخ كان وأخواتها أم إن وأخواتها فإنه يعد عنصر تحويل يحول دلالة الخبر الذي هو محط الاهتمام في الجملة الاسمية.

(68) لفراء: معاني القرآن، 322/2.

(69) ينظر رابح بومعزة، نظرية النحو العربي ص87.

(70) ينظر سيبويه: الكتاب، 6/3..

(71) ينظر الزمخشري: الكشاف، 27/3.

(72) ينظر رابح بومعزة: نظرية النحو العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ط1، 2011، ص، 143.

(73) الحملاوي أحمد: شذا العرف في فن الصرف، ص143

(74) بوخلخال عبد الله: التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب حتى القرن الثاث الهجري، ص202..

(75) عباس حسن: النحو الوافي، 787/4.

(76) ابن جني: المنصف، 1/ 47، وسيبويه: الكتاب، 4/ 383 .

(77) داود عبده: أبحاث في اللغة ، مكتبة لبنان، بيروت، 1973، ص37.

(78) ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/ 11.

(79) الأشياء الثلاثة المتجانسة هي: الفتحة، وهي حركة مجهورة. والواو والياء وهما حرفان مجهوران. وحركة هذين الحرفين . لأن الحركات كلها مجهورة.

(80) بوخلخال عبد الله: التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب حتى القرن الثالث الهجري، ص154.

(81) لأن الكلمة لها بنية ظاهرة سطحية هي التي نتلفظ بها، وبنية عميقة. وهناك عملية تحويل تنطلق من البنية العميقة باتجاه البنية السطحية أو الظاهرة. ومثل هذا التحويل الذي ينطلق فيه من اللفظة المقدرة إلى اللفظة الملفوظة يسمى عند العرب التقدير. وهو أن نقدر

بنية حسب ما يقتضيه القياس. ونحاول أن نجد التحويلات التي توصلنا إلى المعيار الموجود. والتحويل بهذا المعنى هو إجراء، أو حمل شيء على آخر. الحاج صالح: (المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانيات الحالية في العالم العربي)، مجلة اللسانيات، ص11، 12، 13

(82) ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/ 21.

(83) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح عبد العال مكرم، دار البحوث العلمية، الكريت، 1979، 6/ 257 .

(84) قد تكون كلمة "ضائق" صفة مشبهة. عباس حسن: النحو الوافي، 3/ 293.

(85) العكبري، إملاء ما من به الرحمن في وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن. 54/2.

(86) حروف الإطباق هي: ص، ض، ط، ظ.

(87) ابن جني، المنصف، 325/2.

(88) الفراء أبو زكريا، معاني القرآن، تحقيق أحد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1972 1980، 366/1.

(89) الدكتور السيد عبد الرحمن، مدرسة البصرة النحوية، ص 380.

(90) ابن يعيش، شرح المفصل، 47/10. وابن جني، الخصائص، 63/1.

(91) بوخلخال عبد الله، التحليل الصوتي للتغيرات الصوتية عند النحاة العرب حتى القرن الثالث الهجري، ص129.